الإنساني 70

القيم الأفريقية في الحرب

بوصلة إنسانية للإعلام (الملف)

تصدر دوريًا عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر
ICRC
غير مخصصة للبيع
العدد السبعون
شتاء 2023/2022

الرسم: **فارس قرة بيت**، سورية، [1963 –]

أنسنة الإعلام.. المَهمَّة ممكنة

كثيرًا ما عبر نقادٌ وباحثون وأفراد من الجمهور العام عن ضيقهم ونفاد صبرهم تجاه تغطية التيار الإعلامي السائد للأخبار التي تتناول ضحايا الحروب والكوارث وحالات الطوارئ الإنسانية الأخرى. البعض يقول إن التغطية الإخبارية غالبًا ما تتعامل مع هؤلاء الضحايا باعتبارهم مجرد أرقام. وكلما زاد عدد الضحايا وتقديرات الخسائر، ارتفعت «قيمة» الخبر واحتل أولويته في تصدر العناوين. وهذا نقد وجيه ولا شك، إلا أنه نقد انتقائي ينصب تركيزه على جزء واحد وحيد من الصورة. هذه الانتقائية قد تعمي أبصارنا عن حقيقة أن هناك من يتجاوز صخب إحصاء الأرقام ويحاول أن ينتج محتوًى إنسانيًا جاذبًا. ومعنى «الأنسنة» هنا هو إضفاء الطابع الإنساني على المحتوى المقدم، أي إعطاء الفرصة للأفراد المتضررين من الحروب والعنف والكوارث كي يسردوا قصصهم ويحكوا تجاربهم ويعبروا عن آلامهم وتوقعاتهم وأحلامهم بأصواتهم. ومن خلال نقل هذه التجارب، بسرد قصصي جاذب ومنح الضحايا مساحة للكلام، سواء بالكتابة أو بالصورة أو بالتعليق الصوتي أو بالشكل البياني أو بغيره من أشكال إنتاج وعرض المحتوى، تُبنى علاقة تفاعلية قوية وراسخة مع الجمهور تتعدى لغة الأرقام إلى التواصل الإنساني بين سارد القصة ومشاهدها أو قارئها. بكلمات أخرى، فالصحافة الأكثر تأثيرًا، هي تلك التي تنتج محتوى سرد قصصي جاذب وتقدم نماذج بشرية ملهمة.

هذا أمر أدركته غرف صناعة وصياغة الأخبار وإنتاج المحتوى في القنوات الفضائية أو المواقع الإلكترونية أو الإصدارات المطبوعة التي تناضل من أجل البقاء أو وسائل التواصل الاجتماعي. ففي الفضاء الإعلامي الواسع، هناك إعلاميون وصحافيون ومنتجو محتوى يضعون الأفراد في قلب التغطية، يرصدون أحوالهم، ويصغون بانتباه إلى رواياتهم، يوثقون معاناتهم، وفي كل هذا يحيطون عملهم بسياج أخلاقي متين، يحفظ للناس كرامتهم، ولا يقلل من احترامهم.

في هذا العدد الجديد من «الإنساني» الذي يصدر على أبواب الاحتفال بمرور ربع قرن على تأسيس المجلة (صدر العدد الأول في كانون الأول/ ديسمبر 1998)، نحاول تسليط الضوء على تحديات أنسنة صالات الأخبار والبحث عن أخلاقيات التغطية الصحافية، والمشاركة في النقاش المستمر حول واقع الإعلام في عالم اليوم، والأدوار التي يضطلع بها، لا سيما في مناطق تستعر بالنزاعات المسلحة وتتفاقم فيها الأزمات.

ثمة مشاركات قيمة في هذا العدد الذي يحمل الرقم 70، منها شهادات واستعراض تجارب وخبرات لإعلاميين وصحافيين ومنتجي محتوى، لهم مكان ومكانة في فنون صناعة الخبر والتحليل وسرد قصص الضحايا من مناطق منكوبة بالنزاعات. فنقرأ تجربة الإعلامية ميسون عزام لتغطية «تؤنسن الخبر»، فتصبح القصص في طياته وأسماء أبطالها/ضحاياها هي العنوان الرئيس. وفي العدد شهادة وتحليل معمق للصحافية المصرية رشا قنديل عن التغطيات الخبرية في ظل التحولات الكبرى التي طرأت على واقع النزاعات المسلحة في العالم. وفيما بين هاتين الشهادتين، نستطلع آراء وخبرات وتجارب في توظيف الإعلام الاجتماعي للدفاع عن قضايا ملحة. فهذا هو المصور السوري صلاح مرعشي يقدم تجربته في التوثيق الفوتوغرافي لعمارة وآثار وأحياء مدينته الخالدة حلب، خاصة وهي تقاوم آثار الحرب. ومن العراق تشاركنا الناشطة آية القيسي تجربتها الملهمة في تجاوز محنة الإصابة والاستفادة من منصات التواصل الاجتماعي بجعلها ساحة للدفاع عن حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة في بلدها.

أفردنا كذلك بين دفتي هذا العدد صفحات لمناقشة التحديات الملحة في مسيرة العمل الإنساني اليوم. فنطالع في شهادة فيونا تيري، الخبيرة في القانون الدولي الإنساني، ومن واقع تجارب عاشتها بنفسها، رحلتها الشاقة والشائقة التي ترصد فيها ملابسات تحولها من التشكيك في جدوى الحياد في العمل الإنساني، إلى اليقين الصادق بالغرض والمنافع المتحققة من التمسك بهذا المبدأ زمن الحرب. وفي مقال آخر، تناقش رشا محمود، المترجمة في اللجنة الدولية، معضلة الترجمة في إطار الاستجابة الإنسانية والدور الحاسم للمترجم «المخلص» في تحديد احتياجات السكان المتضررين والاستجابة لها. واستمرارًا لاهتمام «الإنساني» الأصيل والقديم في إنتاج محتوى يؤصل للقانون الدولي الإنساني في الحضارات والثقافات والديانات المختلفة، تقدم لنا الفنانة أناستازيا إلسيفا عملًا بصريًّا رائعًا ينقب عن التقاليد الأفريقية في الحروب وأوجه الشبه بينها وبين القانون الدولي الإنساني. وأخيرًا وليس آخرًا، نقرأ في هذا العدد حوارًا بين كاتبتين عربيتين من جيلين مختلفين، من العراق واليمن، أنهكت الحرب بلديهما، لكنهما تحاولان ما وسعتهما المحاولة تجاوز هذا الواقع بالكتابة وسرد القصص.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر دوريًّا عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر
منذ العام 1998

رئيس التحرير **زينب غصن**

مدير التحرير **أحمد زكي عثمان**

المراسلات : 84 شارع 104 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 41/25281540-202+ فاكس : 25281566-202+
البريد الإلكتروني: alinsani@icrc.org
الموقع الإلكتروني: http://blogs.icrc.org/alinsani/

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني **أحمد اللباد**

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

ICRC

الصورة لسيدة سورية تحيك الثياب في أحد مخيمات النزوح في إدلب، تموز/ يوليو 2022.
(تصوير: عبد العزيز قيطاز/ أ. ف. ب)

70

شتاء 2022/ 2023

AFP

النزوح في اليمن: التماس حدٍّ أدنى من الرعاية في مخيم توقف فيه الزمن ..... إيمان الطرابلسي 05

اَلْخُوذَة ..... آرام حسين 08

الملف: بوصلة إنسانية للإعلام 09

فاشينيستا وهيومانيستا، لنبنِ معًا عالمًا أفضل ..... ميسون عزام 10

الحرب عندما تتحول مادةً للنكات: أخلاقياتنا وصور النساء في زمن الحرب ..... عاطف عثمان 13

الإعلام الجديد ومساحات جديدة للنساء زمن النزاعات ..... مي عجلان 16

هذا ما قدمته لي وسائل التواصل الاجتماعي ..... آية القيسي 18

أرواح الماضي على ظهر عملة ورقية ..... ندى ثاقب 20

لقطات صلاح مرعشي توثق ذاكرة مدينة عمرها بعمر الحياة ..... حوار: علا العجيلي 22

صالة أخبار بديلة: أكتبُ عن الزوارقِ والمروحياتِ التي في عينَيَّ ..... سلمى أنور 26

ربع قرن إلا قليلًا: عن الصحافة والحرب وأشياء أخرى ..... رشا قنديل 29

حرائق الجزائر مثالًا: مواقع التواصل الاجتماعي تقود العمل الإنساني ..... فريد بلوناس 34

بين تسليح المعلومات وأنسنتها: التقنيات الرقمية سلاح ذو حدين 36

فوائد التزام الحياد في زمن الحرب ..... فيونا تيري 41

أنا المترجم، أنا الخائن: معضلة الترجمة في العمل الإنساني ..... رشا عبد الفتاح 44

القيم الأفريقية في الحرب: أداة متأصلة في الأعراف الموروثة والقانون الدولي الإنساني ..... رسوم: أناستازيا إلسيفا 46

وفي مصر يطيب المقام: شجون يمنية وعراقية مع بثينة الناصري ..... حوار: صفا ناصر 50

بلا رتوش: أن تمنحك رسائلُ السجن عينًا ثالثة ..... نضال رحمي 52

على هامش المذكرات ..... أحمد آل داود 54

من أركان العالم 55

إصدارات 58

إيمان الطرابلسي*

النزوح في اليمن
التماس حدٍّ أدنى من الرعاية في مخيم توقف فيه الزمن

AFP

من مسافة بعيدة، تبدو آلاف الخيام المهترئة في منطقة مأرب الصحراوية في وسط اليمن وكأنها كتل من سجاد تكسوها الأتربة الصفراء التي تميز المشهد في الصحراء القاحلة. وتبعد أطول جبهة قتالٍ في اليمن بضعة كيلومترات فقط. تكثر العواصف الترابية، وتصل درجات الحرارة إلى قرابة 50 درجة مئوية في فصل الصيف. ومع ذلك، يعيش نحو 12,500 شخص في مخيم السويداء. من بينهم فاطمة، البالغة من العمر 12 ربيعًا، والتي ترعى أمها المصابة بسرطان مزمن.

...

* المتحدِّثة الإقليمية باسم اللَّجنة الدولية للصليب الأحمر.

زرت مخيم السويداء في حزيران/ يونيو 2022، وهو مكان تتجلى فيه مأساة حرب اليمن الطاحنة من وجوه عديدة: عائلات أُجبرت على الفرار من منازلها هربًا من القتال، ليس مرة واحدة فحسب في كثير من الأحيان، وإنما مرارًا وتكرارًا. ونُقل العديد من قاطنيه من مخيمات أخرى، وأُخرج البعض من مستوطنات عشوائية كانوا يقطنونها في وسط اليمن، ولم يكن لدى البعض خيار آخر سوى الإقامة في المخيم حيث لم يعد بإمكانهم تحمل تكاليف الإيجار في المجتمعات المضيفة.

في وقت مبكر من ظهيرة أحد أيام شهر حزيران/ يونيو، كان الهواء مغبَرًّا ومشبعًا بالبخار إلى درجة يصعب معها استنشاقه. بيد أن مجموعة صغيرة من الأطفال وجدوا في اللهو خارج الخيام ما يُسرِّي عنهم قسوة الحرِّ. أما الخيام ففضلًا عن كونها بالية فهي أيضًا مصنوعة مما تجود به البيئة المحيطة، وفيها تتكدس العائلات تحت أسقفٍ مصنوعة من قطع مرقَّعة من بقايا خيام متروكة وقطع البلاستيك وأجزاء من حاويات من الألومنيوم. حرفيًّا يجمعون أي شيء يمكن أن يجدوه لإيجاد سقف يظلُّهم، ولا يملكون إلا الدعاء أن يصمد مأواهم الهش المهلهل في مواجهة العاصفة الترابية المقبلة.

يبدو أن الزمن توقف هنا؛ إذ يفقد السكان الشعور بالوقت وتعاقب الأيام؛ كل يوم يبدو كسابقه: نفس الصراعات، نفس الهموم، نفس الشقاء. أي شيء جديد يحدث هناك يكون حدثًا مهمًّا، بما في ذلك قدوم الزائرين – نحن، في هذه الحالة – إلى المخيم.

يتحلق الناس حولنا، بعضهم يدفعه الفضول، بينما عبَّر آخرون عن غضبهم من نقص المساعدات. لكن جميعهم يبدون منهكين ومحبطين. بالطبع، قليل من الذين يعيشون في مخيمات يُبدون رضًا تامًّا عن أوضاعهم المعيشية، لكن هناك مرارة خاصة يشعر بها الناس في السويداء.

صاح أحدهم قائلًا: «**هل أحضرتم دواء؟**».

بينما قال آخر: «**أصيب والدي بسكتة دماغية قبل أسبوعين. يلزمه الذهاب إلى زيارة طبيب متخصص. تعالوا معي لرؤيته**».

اختلطت الأصوات في المخيم، كلٌّ يتحدث عن احتياجاته، على أمل أن يلقى آذانًا مصغية. استمعنا لهم بأناة، قبل أن نذهب في النهاية مع فتاة صغيرة طلبت منا رؤية والدتها.

تبعناها إلى خيمتها. وبالقرب من المدخل، كانت هناك بركة مياه راكدة تفوح منها رائحة الصرف الصحي. سحبت الفتاة بطانية قديمة اتخذوا منها بابًا للخيمة. كانت والدتها بالداخل.

ICRC

كانت امرأة نحيفة إلى درجة أنها بدت صغيرة الحجم مثل الأطفال. كانت ترقد على مرتبة رقيقة في المنطقة المفتوحة داخل المأوى، الذي كان يتألف من خيمتين قديمتين يربط بينهما سجادة تؤدي دور السقف.

اسمها «مُغنية»، وهي أم لثلاثة أطفال من شمال اليمن انفصلت عن زوجها، وهي مصابة بسرطان مزمن. بات مستحيلًا تخمين عمرها بسبب الإعياء الشديد الذي تعانيه وتأثير المرض.

الصغيرة فاطمة، 12 عامًا، هي من يعتني بالأم التي تصارع الموت فضلًا عن شقيقيها. من الوهلة الأولى تبدو فاطمة طفلة، لكنها لم تبدُ أو تتصرف مثل الأطفال. فقد أضافت المسؤوليات الملقاة على عاتقها سنوات كثيرة إلى عمرها.

قالت فاطمة: «أنا المسؤولة عن الاعتناء بأمي. أُطعمها وأساعدها في ارتداء ملابسها وفي الاستحمام وآخذها إلى الحمام وأجهز فراشها. أنا أتولى مسؤولية كل شيء هنا».

وأضافت: «**كنت أذهب إلى المدرسة ووصلت إلى الصف الرابع، ثم انقطعت عن المدرسة منذ 3 أو 4 سنوات عندما مرضت أمي. كنت أريد أن أصبح طبيبة! وأن أعالج الناس. لكن لسوء الحظ، اضطررت للانقطاع عن الدراسة لعدم وجود أحد يعتني بوالدتي. لحسن الحظ، ما زالت أختي تذهب إلى المدرسة**».

الوضع المأساوي الذي تعيشه مغنية أمر شائع هنا. يحتاج الكثير من النازحين المستضعفين إلى الحصول على خدمات الرعاية الصحية بشكل عاجل ومنتظم، ومن بينها الرعاية المتقدمة. لكن يحول العنف والصعوبات الاقتصادية وتدهور الخدمات الصحية والبنية التحتية الصحية بشكل متزايد دون تمكن الناس من الحصول على الرعاية الصحية الأساسية التي يحتاجون إليها، وخاصة النساء والفتيات.

قالت لنا مغنية بعدما نهضت من قيلولتها: «من المفروض أن أتلقى العلاج في مركز لعلاج السرطان في المكلّا، التي تبعد مئات الكيلومترات عن المخيم. لا أستطيع تحمل تكلفة التنقل بين جلسات العلاج ولا يقوى جسدي على تحمل مشقة الرحلة الطويلة. أنا الآن جالسة في خيمتي أنتظر الموت ليخلصني من هذا العذاب».

جدير بالذكر أن 73 في المائة من النازحين المقدر عددهم بنحو 4.2 مليون شخص منذ بدء النزاع في اليمن هم من النساء والأطفال. وتلاقي النساء والفتيات النازحات مصاعب اقتصادية واجتماعية إضافية ينتج عنها محدودية فرص حصولهن على جميع الخدمات الأساسية، ولا سيما الرعاية الصحية.

يبدو أن الزمن توقف هنا؛ إذ يفقد السكان الشعور بالوقت وتعاقب الأيام؛ كل يوم يبدو كسابقه: نفس الصراعات، نفس الهموم، نفس الشقاء

اليوم، تفشل التعهدات المالية والسياسية العالمية في مواكبة الاحتياجات الإنسانية الملحة المتزايدة في اليمن

ICRC

ويكون الأمر معقدًا بشكل خاص للنساء والفتيات؛ فبالإضافة إلى معاناتهن من أوجه الضعف الاقتصادي، تتردد الكثير من النساء اللائي يعشن بالقرب من جبهات القتال قبل الإقدام على التنقل التماسًا للرعاية الصحية، خشية التعرض للتحرش أو الاعتداء عليهن، ولا سيما في المناطق الريفية.

وبعد مرور ثماني سنوات منذ اندلاع الأزمة، لم تعد أخبار اليمن تتصدر عناوين الأخبار العالمية، مع أن الوضع الإنساني هناك يزداد سوءًا يومًا بعد يوم. ولم تعد الأزمة اليمنية تحظى باهتمام عالمي، على الرغم من كون 80 في المائة من السكان – أي قرابة 20.7 مليون شخص من أصل إجمالي عدد السكان البالغ 30.5 مليون نسمة – بحاجة إلى مساعدات إنسانية.

وأدى احتدام الأعمال العدائية في مناطق مثل مأرب إلى تعريض النازحين الذين يتجاوز عددهم مليون شخص في هذه المنطقة لخطرٍ كبير. فقد أجبرت أعمال العنف الكثير من العائلات على الفرار من المخيمات في السنوات الأخيرة مع اقتراب جبهات القتال منها. ومن ثم، ازدادت صعوبة حماية النازحين وضمان تمكنهم من الحصول على الخدمات الأساسية.

واليوم، تفشل التعهدات المالية والسياسية العالمية في مواكبة الاحتياجات الإنسانية الملحة المتزايدة في اليمن. ونظرًا لنقص تمويل جهود الإغاثة، اضطرت العديد من المنظمات الإنسانية إلى تقليص برامج المساعدة التي تنفذها، ما يعني حرمان المزيد من الناس من الخدمات الأساسية التي تمس الحاجة إليها، ومن بينها الدعم الغذائي والحصول على المياه الصالحة للشرب والرعاية الصحية وخدمات الحماية والتعليم.

واستنزف النزاع المحتدم الممتد منذ ثماني سنوات في اليمن قدرة السكان على التأقلم. وليست معاناة فاطمة وعائلتها فريدة من نوعها في هذا البلد. إذ لا يزال عدد لا يُحصى من العائلات في جميع أنحاء اليمن في حاجة ماسة إلى المساعدة والدعم، حيث يحتاج ثلثا السكان إلى مساعدات إنسانية. لذا فمن الأهمية بمكان أن يُظهر المجتمع الدولي التزامه المستمر تجاه الشعب اليمني ■

آرام حسين *

الخوذة

لم أكن أتوقع أن نظرة إليها سوف تعيد شريط الأحداث إلى ما قبل أكثر من ثلاثين عامًا.. أحداث عفا عليها الزمن ومضى، إلا أنها حفرت – بدون علمنا– أخاديد في عقلنا الباطن ترتوي من أبسط ذكرى.

خلال رحلتي الأخيرة إلى مدينة البصرة، كنت أحد أعضاء فريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر حيث اصطحبنا زميلي في رحلة ميدانية إلى موقع لطالما سمعت عنه من إخواني الذين شاركوا في الحرب العراقية – الإيرانية والتي امتدت لثماني سنوات.

نهر جاسم هو موقع شهد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من ويلات أثناء الحرب، لن أروي ما هو موجود أصلًا في كتب التاريخ ولكن لحظة واحدة كانت كفيلة أن تعيدني إلى سؤال دائم التردد على أسماعي من قبل ذوي المفقودين «أين ابني، أين أبي، أين زوجي؟»

كنت أجيب بأن الصليب الأحمر لم يتوان للحظة عن البحث عنهم، ولكن ما رأيته بأم عيني أثبت لي أن الأمر أعقد مما كنت أتصور وأكبر من مجرد عملية بحث، لو كان لما رأيت لسان حال لقص علينا ما حدث، خوذة شاخصة في أرض فتحت لي أبواب مخيلتي لأربط حبال الآن بالماضي، رأيتها مرمية وسط اللامكان المليء بالمخلفات الحربية والألغام، أماكن لا يستطيع أحد الولوج إليها لمعرفة أسرارها وخباياها، أحسستها تناديني لتفتح لي طياتها المهترئة بفعل السنين، وتسرد لي بطولاتها وترسل معي رسائل لعجوز تنتظر زوجها أو عائلة فقدت معيلها أو أم ثكلت وحرمت من فلذة كبدها.

عدنا أدراجنا من هذه الرحلة وأنا أشعر أني أحمل على أكتافي رسائلٍ لا تحصى ولا تعد، لقد فعلت الخوذة فعلتها ورمت عليَّ أحمالها لترتاح، وظلت مرة أخرى تنتظر زائرًا آخر لتروي له ما تفعل الحروب وتريه ندوبها التي لا تندمل ■

REUTERS

* مسؤول التواصل في بعثة اللجنة الدولية في كركوك – العراق

لسنوات طويلة الآن، كان التحدي الأبرز أمام الصحافيين والإعلاميين والمؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي، هو إضفاء الطابع الإنساني على ما ينتجونه من محتوى: أخبار وتقارير وتدوينات ومنشورات.
وفي منطقة منكوبة بنزاعات مسلحة وأوبئة وتحديات نزوح وهجرة، كالتي نحيا فيها، حيث الأخبار غالبًا متخمة بأرقام قتلى وجرحى وانفجارات ودمار هنا وهناك، فهناك ضرورة ماسة لبعث الحياة في هذه الأرقام، لوضع صوت الناس في قلب الحدث.
في هذا العدد نفرد الصفحات لخبرات وتجارب ورؤى تحاول أن تضبط بوصلة الإعلام في اتجاه الإنسانية.

بوصلة إنسانية للإعلام

الملفّ

ما بين الفاشينيستا والهيومانيستا: لنبنِ معًا عالمًا أفضل

ميسون عزام*

AFP

وبينما كان مقص الرقيب فاعلًا في الماضي ويحدد كمية ونوع المعلومة المسموح بتمريرها بالإعلام المرئي والمسموع والمقروء، لم يعد هناك حصر للمعلومات في حاضرنا، فقفزنا من القليل القليل إلى الكثير الكثير الذي لا حصر له. قفزنا إلى مرحلة، أصبحت خلالها المعلومات تنتشر بشكل أسرع من المآسي، فعكستها بواقعية في كثير من الأحيان وبالغت بوصفها وضخمتها في حالات أخرى.

هذا التغير وضَعَنا كصحافيين أمام تحدٍّ كبير استدعى تقييمًا جديًّا لطبيعة المعلومة وأهميتها في تشكيل رأي عام «**متعطش بطبيعته للمعلومة**» قادر على استخدامها في تحويل العالم إلى مكان أفضل، تطغى عليه الإنسانية. أصبح جليًّا أن ما نشهده من تحول في وسائط نقل المعلومة، لا يشكل حدثًا تكنولوجيًّا عابرًا بل سلطة جديدة تشكل المجتمع كما تتشكل به. تحول دور الصحافي من ناقل للمعلومة عن بعد، إلى جزء لا يتجزأ من التفاعل المحيط به وهنا نتحدث عن تفاعل آني وتواصل مباشر وحدود توسعت لتصبح إقليمية في قليل من الأحيان وعالمية في كثير منها، ولا سيما الإنسانية منها، وهذا ما يدفعنا إلى إعادة تشكيل العلاقة مع المشاهد/القارئ/المستمع، باختصار المتابع الذي أصبح جزءًا فاعلًا في العمل الصحافي، وليس متلقيًا فحسب.

الصحافي التقليدي بحلة جديدة

يمكن للمتابع لهذا التحول رصد التغير الذي طرأ على تغطية الأخبار من حيث أنسنتها، فبعد أن كان الإعلام يتحدث عن اللجوء بصورة عامة، أصبح «**يؤنسن الخبر**» لتصبح القصص في طيات الخبر وأسماء أبطالها/ضحاياها هي العنوان الرئيس. وهذا ما أعتقد أنه ميز العمل الصحافي في حلته الجديدة، وهنا أدعو إلى

AFP

* إعلامية ومذيعة بقناة «العربية».

سن قواعد جديدة وإدراجها في المناهج الدراسية والدورات التدريبية بعنوان، أحب أن ألقبه «**الإعلام الإنساني**».

أصبحنا نلاحظ وجود عديد من الصحافيين، وحتى المؤسسات الصحافية التي خرجت من حدود الخبر إلى إنسانيته، بعد أن وجدت أن تأثيرها في ظل وجود الوسائط المتعددة فاعلٌ وقادرٌ على إحداث تغيير يغير من شكل البشرية. عملت هذه الجهات جاهدة في توسيع نطاق تفاعلها مع المتابعين ليتعدى تقديم النشرات، ليصل إلى مرحلة من الشراكة الإنسانية، وظفت لها تقنيات منصاتها كاملة لتصبح مسرحًا لإثراء المحتوى الإنساني.

في سالف الأزمان كانت المآسي تنتشر بشكل أسرع من المعلومة. وفي حينها وبينما اقتصرت الوسائط على الصحف ثم المذياع ومن بعدهما التلفزيون، كانت المعلومة مقننة، تتحكم بها السلطات، السياسية منها والتجارية. كان الحاكم في تلك الأوقات ينام قرير العين، كيف لا، وهو على دراية كاملة بعناوين أخبار الصباح وتفاصيلها.

نقطة نظام

لا يمكن أن نتأكد إن كان ما ذكرته من تأثير مجتمعي هو الذي حرك تلك الجهات، فلربما شعر بعضها بتهديد العامة لها ولوجودها، بعد أن انتشر عمل الصحافي المدني في ميادين الحروب، وبعد أن أصبح صاحب القصة هو نفسه ناقلها، وحتى قبل أن تعرف عنها وعنه وسائل الإعلام. ولكن دعونا نأمل أن العامل الإنساني والأخلاقي كان المحرك وكان اللّه بالسر عليمًا.

الخامسة

إثراء المحتوى الإنساني بالنسبة لي وفي حدود مجال عملي، تجلى بالجهود التي بذلت لإطلاق نشرة، يمكنني أن أزعم أنها الوحيدة في العالم العربي التي تُعنى في خطها التحريري بالجانب الإنساني وبشكل يومي. على مدار خمس سنوات نجحت نشرة الخامسة في إيصال صوت من لا صوت لهم، فقد نقلت مآسيهم وتطرقت إلى مواضيع إشكالية تعرضوا لها، دون أن تغفل الخامسة أبدًا عن قصص نجاحاتهم. وأفتخر أننا نجحنا في حل عدد منها. أذكر هنا عبد اللّه، الطفل السوري الذي اضطر لترك دراسته، كي يساعد في توفير الدعم المالي لعائلته. وعندما نقل فريقنا قصة معاناته أمام المشاهدين وتحت تصرف اليونسيف، تبنت المنظمة الطفل وها هو الآن وعائلته في الولايات المتحدة الأميركية يكمل دراسته.

وإيمانًا منا، بأهمية التفاعل مع المشاهدين، أطلقنا وبشكل يومي سؤالًا تفاعليًّا على تويتر وعرضنا الرد على الشاشة، وبهذا لم نوفر في الخامسة فقط أرضية خصبة وجميلة لتلاقي المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، بقصص إنسانية، بل استطعنا إشراك المتابعين من خلال تحكيم عقولهم في قضايا إنسانية ومنها إشكالية..

وقعت وفريق العمل في إدمان العمل الإنساني فخرجنا من حدود الاستديو لنصل إلى مصدره مباشرة. وهكذا بدأنا في رحلة إلى مخيمات اللجوء السورية في الأردن ومخيمات النزوح في اليمن. بدأنا مرحلة جديدة في إيصال الرسالة الإنسانية، فبالإضافة إلى التغطية التقليدية للحدث، بدأنا باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي في حوارات مباشرة مع اللاجئين وتغطية مكثفة وعن قرب لحياتهم داخل المخيم بحلوها ومرها.

نقطة التحول

كان لهذا التواصل المباشر مع المتابعين الأثر الكبير عليَّ شخصيًّا، جعلني ألجأ إلى منصتي الخاصة على السوشيال ميديا لإثراء المحتوى الإنساني، إذ وجدت أن الوضع الإنساني يتعدى المنصة الواحدة، وأن دوري كصحافية في ظل التكنولوجيا الحديثة يوجب عليَّ أن أعمل على نشر ثقافة فعل الخير ودعم الأعمال الإنسانية بكافة أشكالها. وما أجمل أن تشعر بأن منصتك قد استطاعت أن تقدم ولو القليل، فالدال على الخير كفاعله. وما أجمل أن تستمع إلى ردود فعل المتابعين وفرحتهم، فيكون العمل الإنساني بهذه الحالة متكاملًا حيث يكون الكل رابحًا. •••

دخلنا مرحلة، أصبحت خلالها المعلومات تنتشر بشكل أسرع من المآسي، فعكستها بواقعية في كثير من الأحيان وبالغت بوصفها وضخمتها في حالات أخرى

ICRC

أذكر هنا عبد الله، الطفل السوري الذي اضطر لترك دراسته، كي يساعد في توفير الدعم المالي لعائلته. وعندما وضع فريقنا قصة معاناته أمام المشاهدين وتحت تصرف اليونسيف، تبنت المنظمة الطفل وها هو الآن وعائلته في الولايات المتحدة الأميركية يكمل دراسته.

التحديات

- تنتشر في وسائل التواصل الاجتماعي ظاهرة تعرف بالفاشينيستا، بهدف الترفيه والتسلية في معظمها وكسب المال أيضًا، وقد أصبحت الفاشينيستا وظيفة تجذب الكثيرين وتُبرز معظمهم بغض النظر عن خلفياتهم، وأخلاقياتهم والمحتوى الذي يقدمون. من المهم الآن، في ظل المآسي التي يعيشها عالمنا العربي، أن ندفع بظاهرة جديدة سأطلق عليها اسم «الهيومانيستا»، وهدفها الأساس إنساني ومردودها مجتمعي توعوي نحن في أمس الحاجة إليه.
- حاول عديد من المنظمات الدولية التوجه إلى وجوه مؤثرة كي تشارك في حملات إنسانية أو تبرعات إلا أن غياب الوعي الحقوقي للإنسان والقوانين التي تحمي الأقل حظًا بين هؤلاء مثّل برأيي التحدي الأبرز، وهذا ما يعيدني إلى ما ذكرته سابقًا حول أهمية تهيئة الصحافي والمؤثر لقوانين الإعلام الإنساني التي يجب أن تتطور لتتماشى مع التكنولوجيا الحديثة. هناك صورة لمؤثر يمكن لها أن تحرك قلوب العالم أجمع، وهناك ما يمكن أن يكون مبتذلًا ورخيصًا، بما ينهي صورته والمنظمة التي يمثلها، ناهيكم عن التأثير السلبي للأقل حظًا.
- التعاون بين المنظمات الدولية والمؤسسات الإعلامية ما زال بشكله التقليدي ما يستدعي خلق بيئة جديدة من التعاون للتأكد من أن المساحة الإنسانية متوفرة وبصورة صحيحة ومؤثرة أيضًا.
- ليس هناك من دعم كافٍ للمبادرات الفردية ولا أعلم إن كان ذلك تقصيرًا من المنظمات أو من المؤثرين.
- بعض المعلومات منها الكاذبة ومنها الصادقة، أثرت على مصداقية المنظمات الإنسانية، وبالتالي وجب العمل على تحسين صورتها.
- معظم المنصات تعرض الإنجازات أو حملات التبرعات، لكنها تغفل عن أهمية التواصل مع المتابعين خاصة من يحتاج منهم إلى الدعم.

المطلوب

استطاعت التكنولوجيا توفير وسائل تجعلنا قادرين على التغيير، ويبقى القرار لنا، عن شكل التغيير الذي نريده والتأثير الذي نصبو إليه، ومن هنا على المنظمات الإنسانية أن تحدد من خلال رصد الملفات الشخصية للمؤثرين، من منهم يحمل راية إنسانية وبالتالي يحق له أن يُكرَّم بلقب الهيومانيستا ■

عاطف عثمان*

الحرب عندما تتحول مادةً للنكات:

أخلاقياتنا و صور النساء في زمن الحرب

الحرب قد تعني أشياء كارثية عديدة للنساء المتضررات: قتلٌ وإصاباتٌ وإعاقاتٌ دائمة، وندوبٌ نفسية، ونزوحٌ وانفصالٌ عن الأحبة والأسرة، وفقدُ بعض أفراد العائلة بلا قدرة على استجلاء مصيرهم أو حتى معرفة مكان رفاتهم، وذكرياتٌ أليمة عما حدث، وتذكاراتٌ وممتلكاتٌ مادية سحقتها آلات عسكرية، وخططٌ وآمالٌ وأحلامٌ عصفت بها ريح القتال بين ليلة وضحاها.

مع تغلغل تكنولوجيا الاتصالات في حياتنا صارت أخبار الحرب البعيدة في متناول أيدينا لحظة بلحظة، لا على مستوى التلقي فحسب، بل أيضًا على مستوى التعليق على «صور الحرب» والمشاركة في إنتاجها وإعادة إنتاجها وحتى تحويرها، لا في الفضاء العام عبر منصات فيسبوك وتويتر فحسب، بل أيضًا من خلال المحادثات الخاصة عبر تطبيقات مثل «واتساب». وصارت الحرب تعني للبعض مادةً للنكات والفكاهة إشباعًا لفانتازيا جنسية أو عنصرية!

والأزمة الأخيرة في أوكرانيا تشهد على ذلك. إذ ما كادت طبول الحرب تدق حتى سارعت بعض الصحف وبعض مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي وكثيرون في محادثاتهم الشخصية عبر واتساب إلى التعبير عن فانتازيا جنسية عنصرية صريحة كانت الأوكرانيات موضوعها!

صحيفة نشرت على صفحتها بفيسبوك: «بيتنا مفتوح ليكوا.. خفة دم المصريين تتحدى الحرب بانتظار الفتيات الأوكرانيات (صور). نصيحة.. لا تتسرع في الزواج سيكون هناك نازحات ولاجئات أوكرانيات قريبًا»! صحيفة أخرى نشرت صورة فاضحة لفتاة شقراء تحمل العلامة المميزة للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين مصحوبة بعبارة «عمل إنساني.. تبنوا أوكرانية لحمايتها من الاحتلال الروسي». نطاق التنكيت اتسع باشتراك بعض المستخدمين العرب لموقعي فيسبوك وتويتر للتعبير عن الأمنيات ذاتها. عشرات الحسابات على فيسبوك في دول عربية عدة شاركت نفس المحتوى الجنسي العنصري الساخر بمنشورات حصدت عشرات الآلاف من تأشيرات الإعجاب والاستحسان، فضلًا عن التعليقات المتفقة مع محتواها.

وعلى الجانب الآخر من العالم، تحدثت وسائل إعلام محلية بالبرازيل عن نائب ببرلمان البلاد قال في تسريب صوتي: «**عبرت للتو الحدود سيرًا على الأقدام بين أوكرانيا وسلوفاكيا.. أقسم لك يا أخي لم أرَ أبدًا في حياتي فتيات جميلات وفاتنات مثل هؤلاء.. شيء لا يصدق**».

الإعلام التقليدي وآخر حديث

من اللافت للنظر أن تحتل الحرب في أوكرانيا هذه المساحة من الصور والمقالات والمنشورات التي تتحدث عن «الأوكرانيات» بينما قليلًا ما نرى حضورًا لنسوة أخريات في صور الحرب وتغطيتها. ومؤخرًا اشتعلت نزاعات دامية في إثيوبيا والكونغو وميانمار، لكن نصيب صور النساء في الظهور كان قليلًا أو معدومًا، ما يجعل المتابع يتساءل: هل «جمال» الأوكرانيات هو جواز مرور لمعاناتهن وصمودهن، ومن ثم استحقاق التغطية الإعلامية والشعبية؟

إذ تتكرر في الإعلام التقليدي عناوين مثل: «حسناوات أوكرانيا يتدربن على القتال» و«كيف قضت جميلات أوكرانيا أول أيام الحرب؟» و«الكعب العالي الأوكراني في مواجهة مقاتلات روسيا» و«فيديو يغزو التواصل لطفلة أوكرانية تغني بملجأ تحت الأرض».

•••

* كاتب ومترجم في المركز الإقليمي للإعلام باللجنة الدولية للصليب الأحمر.

AFP

هل يتحيز صانعو الأخبار في منطقتنا للبيضاوات؟ هل هم على وعي باستجابة القراء لهذه السياقات فيخاطبون تحيزات مماثلة؟

يبدو أن التفاصيل التي تستحق الحكي عن أوكرانيا كثيرة، سواء النزوح أو التدرب على حمل السلاح، أو وداع الأحبة في محطات القطار.

وبعض التعليقات والمنشورات الساخرة كانت تقارن بين جمال المقاتلات الروسيات والأوكرانيات، ويعبر كاتبها عن حيرته مع أي فريق يقف في هذا النزاع الدموي! وبعض المنشورات قارنتْ جمال الأوكرانيات بالنساء العربيات. وللمتابع أن يقول أيضًا إن جمال الأوكرانيات كان المحرض على التمنيات القلبية بنجاتهن من أهوال الحرب، فضلًا عن حصولهن على تغطية إعلامية تقليدية وشعبية – سواء بصفتهن مقاتِلات جميلات يحملن السلاح، أو مدنيات مستضعفات لهن الحق في الإيواء وعروض الزواج!

والنزوح القسري حدث متكرر في أفريقيا أيضًا. لكن أين الأخبار وصور النازحات صاحبات البشرة السمراء؟ وما مدى تصدرها الأخبار وتكرارها في المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي أو الجرائد؟ هل يتحيز صانعو الأخبار في منطقتنا للبيضاوات؟ هل هم على وعي باستجابة القراء لهذه السياقات فيخاطبون تحيزات مماثلة؟ إذ لا يبدو أن النازحات واللاجئات الأفريقيات يحظين بترحيب– بل لا أبالغ إن قلت إنهن غير مرئيات من الأصل. لا بد أن يكون الحدث ضخمًا ومروعًا بقدر الاغتصاب الجماعي حتى تستحق السمراوات الذكر في الإعلام التقليدي كما الحال في أزمة تيغراي مثلًا!

والواضح أن الوقت الذي يُصرف للتفكير قبل أن يقرر بعض مستخدمي وسائل التواصل الضغط على زر المشاركة وإعادة النشر والإعجاب محدودٌ للغاية، بل ربما يكون منعدمًا. أما صانع النكتة والكوميكس والمنشور الأصلي فهو مَن لديه وقت أطول. إذ تأتيه الفكرة ثم يبلورها ويبدأ بالتنفيذ بصياغة المنشور وفبركة صورة، وحتمًا تراوده في أثناء ذلك بعض الأفكار عن جمهوره: كيف سيستقبل هذه «النكتة» ويتفاعل معها، وهل سيعجبه المنشور فيستحسنه ويعيد نشره، كل ذلك بينما هو في حالة انفصال جغرافي ونفسي تام عن واقع النساء المتضررات. ويبدو أن الإدراك الحالي هو أن وسائل التواصل الحديثة مسرحٌ دائم يصلح لإظهار كل العلل والتوجهات غير السوية، بما فيها التهكم على معاناة ملايين الأشخاص في الحرب، ما يجعلها تترسخ أكثر بحكم تطبيعها بوقاحة مفرطة عبر بوابة الفكاهة. لكنه إدراكٌ يمكن – ويجب – تغييره.

عمل إنساني!

والسؤال الآن هو: هل يمكن أن تمثل المبادئ الأساسية للعمل الإنساني بوصلةً «إنسانية» للإعلاميين ومستخدمي وسائل التواصل؟ عمل الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر – الذي تحكمه سبعة «مبادئ أساسية» هي: الإنسانية، الحياد، عدم التحيز،

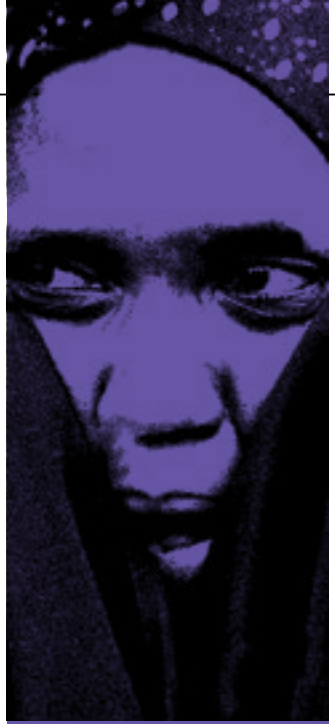

ينبغي أن يستلهم الإعلاميون ومستخدمو وسائل التواصل بوجه عام مبدأين محوريين من المبادئ الأساسية للعمل الإنساني، هما: الإنسانية وعدم التحيز

الاستقلالية، العالمية، الوحدة، العمل الطوعي – استجابةٌ رحيمة لصور المعاناة الناجمة عن العنف، ومحورُه حفظ الأرواح وصون الكرامة الإنسانية. وفي عام 1965 اتفقت جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر على تلك المبادئ، ومنذ أواخر الثمانينيات، اهتدت بالمبادئ نفسها أو بعضها هيئات الأمم المتحدة ومنظمات حكومية دولية وإقليمية.

ويمكن – بل ينبغي – أن يستلهم الإعلاميون ومستخدمو وسائل التواصل بوجه عام مبدأين محوريين من المبادئ الأساسية للعمل الإنساني، هما: الإنسانية وعدم التحيز، بالإضافة إلى واجب «كف الأذى»، لتعزيز حقوق الإنسان وصون كرامته. فما محور هذين المبدأين وكيف يمكن إدماجهما في العمل الإعلامي واستخدامنا لوسائل التواصل؟

يجسد مبدأ الإنسانية جوهرَ العمل الإنساني، وهدفُه الحيلولة دون معاناة المتضررين من الأزمات وتخفيفها متى وقعت، وحماية الأرواح وصون الكرامة، وتشجيع التفاهم المتبادل بين جميع الشعوب. ويتضمن مبدأ الإنسانية مفهوم الإيمان بالمساواة بين البشر ومن ثم فكرة عدم التمييز. والعمل الإنساني يشمل كلًّا من المساعدة والحماية، والحماية بدورها تتضمن الالتزام بواجب كف الأذى (do no harm imperative) وهو مبدأ إنساني أيضًا.

فكيف يمكننا تقديم الحماية «الإعلامية» للنازحات واللاجئات من خلال مبدأ «الإنسانية»؟

- إعلان رفضك المحتوى المسيء للنساء المستضعفات، ومكافحته بوسائل الإبلاغ والاعتراض المتاحة.
- الكف عن ترويج الصور المفبركة، والمهينة، والتعليقات المسيئة للمستضعفات.
- عدم تسويغ استغلال المستضعفات بأي صورة كانت، لا سيما الاستغلال الجنسي.
- تجنب تعريض الضحايا لمزيد من الأذى بسبب أنشطتك الإعلامية.
- تجنب تعريض الجمهور لتصورات مشوهة وصور نمطية عن الآخر، بهدف تشجيع الاحترام بين الشعوب.

ويرتبط بعدم التحيز مفهوم عدم التمييز، إذ يجب تقديم المساعدة والحماية بغض النظر عن العرق والجنسية والدين والولاء السياسي والنوع. عدم التمييز هدفٌ أخلاقي بحد ذاته، وهو نتيجة طبيعية لمبدأ الإنسانية. معنى ذلك أن يستبعد الشخص التفضيلات الشخصية فينتصر للإنسانية والكرامة دون نظر إلى انتماءات البشر. وعدم التحيز يتضمن بدوره الالتزام بواجب كف الأذى. فترويج مثل هذه الصور المسيئة لا يجرد المتضررات فحسب من إنسانيتهن، بل يجرد أيضًا صانعيها ومروجيها من إنسانيتهم.

فكيف يمكننا تقديم الحماية «الإعلامية» للنازحات واللاجئات من خلال مبدأ «عدم التحيز»؟

- عدم الانجراف وراء تعليقات جنسية أو عنصرية عن النساء المنتميات لعرق معين، لا مدحًا ولا ذمًّا، بسبب سماتهن الجسدية المستحسنة أو المستقبحة.
- تجنب التمييز على أساس اللون والانتماء الاثني، والحرص على عرض معاناة المتضررات كافةً بما يثير التعاطف معهن جميعًا.
- الحساسية تجاه اللغة المستخدمة والصور المصاحبة للأخبار والمقالات والمنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي، واستخدام لغة «إنسانية» وقصص تظهر فاعلية النساء. فالمرأة ليست ضحية أو مقاتِلة فحسب، إنما أيضًا مشارِكة في العمل الإنساني والرعاية الطبية والاجتماعية وغير ذلك.

في ظل هذا الطوفان الهائل من الصور والأخبار الحقيقية والمفبركة عن الحرب، نشكِّل جميعًا أخلاقَنا واستجاباتِنا للواقع بأيدينا ونوعز للآخرين أيضًا بأفكار ومواقف وتوجهات على مدار الساعة. وما من شك في أن اتساع نطاق الإعلام والتكنولوجيا الرقمية المتاحة أمام أعداد هائلة من الناس الآن يمثل أحد تجليات اتساع مجال أخلاقياتنا العملية بوصفنا بشرًا. وتكمن في مبادئ العمل الإنساني إمكانية كبيرة لتطوير أخلاقيات مجال الإعلام التقليدي ووسائل التواصل الاجتماعي. وفي سياق الحرب تقتضي إنسانيتنا المشتركة الالتزام بواجب كف الأذى والإحجام عن إيقاع مزيد من الضرر بضحايا النزاعات المسلحة ■

AFP

تمكين وتحديات:

الإعلام الجديد ومساحات جديدة للنساء زمن النزاعات

انتشر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي واتسعت دوائرها وتعاظم دورها في الآونة الأخيرة، إذ أصبحت أداة مهمة في حشد الدعم والمناصرة للقضايا المختلفة، بدلًا من اقتصارها على كونها أداة للتواصل بين الأفراد. وفي ضوء ذلك، عملت تلك المساحة الافتراضية على تشكيل الرأي العام وقيادة حركات التغير حول العالم، فأثبتت أنها وسيلة قوية لجذب انتباه جمهور أوسع لقضايا حقوق النساء من خلال مشاركة العديد من الانتهاكات التي يتعرضن لها خلال أوقات النزاعات، وهو الأمر الذي شجع صانعي السياسات والمنظمات الدولية على تكثيف الالتزامات بالمساواة بين الجنسين.

تسعى هذه المقالة للإجابة عن عدد من التساؤلات حول طبيعة الدور الذي تلعبه وسائل التواصل الاجتماعي داخل الدول التي تواجه النزاعات المسلحة. وكيف ساعدت وسائل التواصل الاجتماعي في دعم حقوق النساء خلال الحروب والنزاعات؟ وما هي التحديات التي تقف عقبة أمام زيادة فاعلية وسائل التواصل الاجتماعي؟

بعد جديد للتمكين

يشير مفهوم **تمكين المرأة** إلى أهمية أن تكون المرأة واعية ومدركة بالطريقة التى يمكنها بها أن ترسم خطوط مستقبلها، وأن تكون قادرة على اختيار طريقها بنفسها، ومن أجل ذلك يجب أن تكون قادرة على امتلاك الأدوات المختلفة التى ستساعدها فى ذلك، لذا جاء **منهاج عمل بيجين**** وأوضح دور وسائل الإعلام في دعم المرأة حيث أشارت الفقرة 234 إلى أنه قد «**سهل التقدم الذي أحرز خلال العقد الماضي في تكنولوجيا المعلومات قيام شبكة اتصال عالمية تتخطى الحدود الوطنية وتؤثر في السياسة العامة، والمواقف والسلوكيات الخاصة، ولا سيما مواقف وسلوك الأطفال والشباب. والإمكانية متوفرة في كل مكان لكي تقدم وسائط الإعلام مساهمة أكبر بكثير في مجال النهوض بالمرأة**». وهنا اعتراف صريح من منهاج عمل بيجين حول قدرة وسائل الإعلام والتي من ضمنها منصات التواصل الاجتماعي على تقديم مساهمة أكبر بكثير في النهوض بالمرأة.

ساهمت منصات التواصل الاجتماعي في التأثير على الرأي العام، من خلال نقل الأفكار والآراء المتعلقة بقضية معينة لعدد كبير من الأشخاص في مناطق مختلفة من العالم، ما أتاح بلورة رأي عام دولي مساند لبعض القضايا، على رأسها تمكين المرأة والمساواة بين الجنسين لا سيما في مناطق النزاعات المسلحة، حيث تتعرض النساء والفتيات لمزيد من العنف القائم على النوع الاجتماعي. كما أن النزاع العنيف يؤثر بشكل غير متناسب ويزيد من عدم المساواة بين الجنسين والتمييز. ففي حالات الصراع تدفع النساء ثمنًا مضاعفًا بسبب تفاقم نقاط الضعف الموجودة مسبقًا، كما يزيد الصراع من حدة الفقر، ويلزم النساء بالقيام بأدوار جديدة، كإعالة الأسرة والخروج للعمل في مواجهة صعوبات كبيرة من أجل الحصول على المساعدة والموارد التي تعينهن وأسرهن على الحياة. وإذا ما أضيف إلى ذلك كله ما تتعرض له النساء في مناطق النزاعات من انتهاكات وعنف جنسي، حيث تصبح أجسادهن

ساحات للصراع العنيف الذي يتعرضن خلاله للإذلال والتعذيب والاغتصاب الوحشي والقتل، فإن المشهد يغدو قاتمًا للغاية.

فتحت وسائل التواصل الاجتماعي آفاقًا جديدة لدعم حقوق المرأة، وليس فقط كآلية للكشف عن الانتهاكات التي تتعرض لها المرأة في فترات الحروب والنزاعات، فالوصول واسع النطاق إلى المعلومات وتبادل الخبرات طور إحساسًا أكبر بالوعي حول الأدوار المختلفة للنساء ولفت النظر إلى أن عدد النساء في مواقع صنع القرار وعلى طاولة المفاوضات لا يزال صغيرًا نسبيًّا. ففي كثير من الأحيان لا يُنظر إلى النساء على أنهن يتمتعن بالمهارات أو المعرفة أو الوضع الاجتماعي اللازم لإحداث التغيير في بيئات ما بعد الصراع، وهنا ظهرت قوة منصات التواصل الاجتماعي الكامنة في قدرتها على جذب الانتباه إلى الأدوار التي يمكن أن تلعبها المرأة بوصفها عاملًا قادرًا على إحداث تغيير في المعادلة لا بوصفها ضحية، ليشكل ذلك فرصة لإعادة بناء تصورات مغايرة حول واقع تمكين المرأة وضرورة تكاتف المؤسسات الدولية للوقوف ضد تلك المعاناة.

ومع تحسين وصول النساء إلى المعلومات عبر الإنترنت من خلال المنصات المختلفة، تطورت لديهن درجة أكبر من الوعي. فتحت المنصات الرقمية والوسائط التعليمية والمدونات ومقاطع الفيديو مساحة افتراضية منحتهن سبلًا لتطوير الذات. وعلى الرغم من معاناة المرأة في أوقات الصراع، فإن النساء اكتشفن أنفسهن من جديد، وهنا تظهر القصص والتجارب المختلفة لمجتمعات ما بعد الحرب من أجل بناء سلام مستدام حيث تصبح تلك المنصات الافتراضية ساحات مفتوحة للتعبير لإظهار مواهبهن والتواصل وتوسيع علاقاتهن الاجتماعية وكسر القيود التي تفرضها مجتمعاتهن، بالإضافة إلى كونهن يستخدمن تلك المنصات في إيصال أصواتهن ومخاوفهن من استمرار الحرب، كما خلقت منصات التواصل الاجتماعي مساحة للضحايا من النساء لمشاركة خبراتهن في العنف مع الضحايا الآخرين، وخلق مساحة لتبادل المعرفة والمعلومات حول حقوقهن والأطر القانونية وخدمات الرعاية الاجتماعية.

تجاوز محنة النزاع

تتجه النساء في مناطق النزاع بشكل متزايد إلى التكنولوجيا لبناء السلام والحد من عدم المساواة

مي عجلان*

بين الجنسين، وهو ما ظهر في عدد من التجارب المختلفة. فمثلًا، خلال العام 2014، حقق وسم حملة [أعيدوا بناتنا] #BringBackOurGirls، للمطالبة بتحرير أكثر من 200 شابة اختطفن في نيجيريا أكثر من مليون تغريدة على منصة تويتر، ما ساعد على زيادة الوعي بالقضية وحشد أصوات من جميع أنحاء الأرض للتكاتف والمطالبة بإنقاذ فتيات المدارس النيجيريات المختطفات.

فتحت المنصات الرقمية والوسائط التعليمية والمدونات ومقاطع الفيديو مساحة افتراضية منحت النساء سبلًا لتطوير الذات. واكتشاف أنفسهن من جديد

وفي السودان لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورًا بارزًا من خلال مجموعات التفاعل عبر منصة واتس آب ومجموعات فيسبوك، بجانب منشورات المؤثرين عبر منصة انستغرام. سجلت النساء غير القادرات على المشاركة والانضمام إلى الحراك السياسي في البلاد نشاطهن الداعم عبر تلك المنصات. كما شاركت نسوة أخريات صورًا ومقاطع فيديو، بعضها يحاول إلقاء الضوء على بعض القيود التي تواجه النساء خلال هذه الاحتجاجات.

وفي أفغانستان، جاء استخدام منصات التواصل الاجتماعي لطرح أفكار بخصوص إشراك المرأة في بناء السلام والأمن. بالإضافة إلى ذلك، استخدمت النساء الأفغانيات منصات التواصل لتوحيد رسائلهن ومطالبهن إلى السلطات، وكان أبرز تلك الرسائل الحملة الدعائية التي جاءت تحت وسم AfghanWomenWillNotGoBack [نساء أفغانستان لن يعدن إلى الوراء] التي صنفت كأعلى حملة يتم تدشينها عبر منصات التواصل الاجتماعي في البلاد. كما استخدمن أيضًا وسم MyRedLine لتسجيل مقاطع مرئية قصيرة عبر المنصات المختلفة لإيصال مطالبهن حول اتفاق السلام.

مكافحة القوالب النمطية

لا تزال هناك تحديات في استخدام منصات التواصل الاجتماعي لمكافحة التمييز والقوالب النمطية ورفع الوعي بقضايا حقوق المرأة. وعلى الرغم من أن النساء على مستوى العالم يستخدمن وسائل التواصل الاجتماعي أكثر من الرجال، فإن العديد منهن، لا سيما في البلدان النامية، ما زلن غير قادرات على الوصول إلى هذه التكنولوجيا بسبب البنية التحتية والأعراف الاجتماعية، إلى جانب الفجوة الرقمية بين الجنسين، فالنساء لديهن مهارات رقمية أقل مقارنة بأندادهن من الرجال، كما يقل امتلاكهن للأجهزة المحمولة أو التكنولوجية وهو ما يشكل عقبات في تشكيل رأي عام داعم ومساند.

في ضوء ما سبق، تحتاج النساء إلى تعلم كيفية فهم وتوظيف المنصات الرقمية وفي الوقت نفسه التعرف على مخاطر تلك المنصات، خاصة أن العديد منهن يفتقرن إلى الخبرة والقدرات اللازمة لإطلاق حملات فعالة على وسائل التواصل الاجتماعي.

وعلى الرغم من العديد من الحملات التي تم إطلاقها والنجاح الذي حققته داخل عدد من البلدان، فإن التأثير المنشود لتلك الحملات من حيث تمكين النساء من تشكيل السياسات والتأثير عليها لا يزال غير مكتمل، وغير مؤثر في عمليات صنع القرار. لذا فإن تدريب النساء على الاستفادة بشكل أكبر من تكنولوجيا المعلومات ومنصات التواصل الاجتماعي يُعد ضمانة الوصول المتكافئ إلى التقنيات الجديدة واستخدامها لتعظيم دور المناصرة الذي تلعبه تلك المنصات في دعم قضاياهن وخاصة ما يرتبط بعمليات بناء السلام.

وختامًا، ما لم تتمكن النساء من استخدام هذه الأدوات الرقمية بكفاءة، فلن يكون بإمكانهن المشاركة بشكل هادف في دعم بناء السلام داخل مجتمعاتهن، فالوصول المحدود إلى التقنيات الجديدة وعدم الاستفادة الكاملة من وسائل التواصل الاجتماعي للدعم وحشد المناصرة حول قضاياهن مقيد بالنسبة للعديد منهن بسبب الأمية والحواجز اللغوية والفجوة الرقمية في البنية التحتية خاصة داخل دول النزاع ■

* باحثة في قضايا المرأة والسلام والأمن.

** وثيقة صادرة عن المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بيجين عام 1995 وهي تؤكد أن حقوق المرأة الإنسانية وحقوق الطفلة حقوق ثابتة وأساسية ولا يمكن فصلها عن حقوق الإنسان.

آية القيسي *

كلمة إعاقة لا تعني بالضرورة أن الفرد بات مَعُوقًا عن مواصلة حياته، بل إنه يمكن استخدام لفظة «الإعاقة» بحيث تكون دالَّة على حال حقيقية دون إساءة

ICRC

هذا ما قدمته لي وسائل التواصل الاجتماعي

البداية بعد الحرب، أي بعد العام 2003 في العراق وأنا بعدُ بعمر الخمس سنوات، صرتُ أعاني من ألم في الساق اليمنى، وبعد إجراء التحاليل والفحوصات اتضح أنني أعاني من سرطان نخاع العظم.. لسوء الحظ أن الطبيب قرر أن يأخذ عينة بعملية جراحية، ومن الخطأ أن تكون هناك عملية لعينة طبية دون تهدئة المرض، بعد العينة تعرضت فخذي اليمنى للالتهاب جراء هذه العينة، وأخذ يكبر ويكبر بالحجم، وصلت إلى مرحلة الموت الحتمي، فقررت عائلتي السفر بي إلى خارج العراق.

بداية رحلة العلاج كانت بالأردن بمستشفى الحسين للسرطان ثم قرر الطبيب أن تُبتر الساق اليمنى لأنها أصبحت تالفة بسبب كبر حجمها وتهيجها، بُترت ساقي من منطقة الحوض فوق الفخذ ولم يتبقَّ لي أي عظم من ساقي عدا عضلة صغيرة لتثبيت الطرف الاصطناعي عليها، بعدها بدأت رحلة التعافي من السرطان بجرعات الكيماوي لمدة عام مستمرة، ثم توقفت بعدها، واستمرت المراجعات لست سنوات للتأكد من تمام صحتي أو احتمالية عودة المرض.

وبدأت رحلة أخرىٰ، وهي الأصعب والأشد، رحلة التأقلم مع الساق الاصطناعية لأنني طفلة وواجهت صعوبات بتقبلها نفسيًّا وجسديًّا، لكني كنت مضطرة لاستكمال الرحلة حتى أستطيع مساواة نفسي مع بقية الأطفال وأشاركهم المقعد الدراسي واللعب والتنقل، مرت السنوات الأولى بالمدرسة مع الطرف وتعرضت للكثير من التنمر والكلام الجارح لأن شكل الطرف الاصطناعي بهذه الفترة كان غير مألوف للناس وكانت ثمة صعوبة لديهم في تقبل ما هو مختلف.

بدأت مرحلة الإعدادية، والتفكير بدأ يتشكل والوعي بدأ ينضج، وفكرت إلى متى أبقى محط أنظار الآخرين ومحل شفقتهم؟ ماذا عليَّ أن أفعل حتى أتجاوز هذا البؤس الذي سرق مني الكثير؟ للحظة ما خطرت لي إجابة تمثَّلت في: فكري بمخاوفك وافعلي ما يخيفك ويؤذيكِ.

والآن لا شيء يؤذيني غير ساقي الحديدية ونظرة الآخرين إليَّ! واجهي إذن الناس بمخاوفك.. وكان أن واجهت الناس بساق حديدية ظاهرة (أقصد إبراز الحديدة برفع الملابس عنها) وبدأت أزداد قوة يومًا بعد الآخر، وأصبحت أستطيع الرد على من يجرحني بالكلام!

كان التعامل مع الناس تحديًا كبيرًا في البداية حيث كافحت من أجل العثور على مكاني في هذا العالم الجديد الذي وقعت فيه.

لكنني اتخذت موقفًا مفاده أن أفكار وآراء الآخرين هي حقهم الكامل في التعبير عنها وهي أيضًا ليست من شأني على الإطلاق. فلِمَ أنا مشغولة جدًّا بكل هذا الهراء الذي وضعته الإعاقة في طريقي؟ ولِمَ أزعج نفسي بأشياء ليست من شأني؟! هنا بدأت أفكر بأقراني من ذوي الإعاقة وما أستطيع أن أقدمه لهذه الفئة (وهنا لا أقول ذوي الهمم لأن تسمية الإعاقة هي الرسمية ولأنهم فعلًا أصحاب إعاقة، ومفردة إعاقة لا تعني بالضرورة أن الفرد بات مَعُوقًا عن مواصلة حياته، بل إنه يمكن استخدام لفظة «الإعاقة» بحيث تكون دالَّة على حال حقيقية دون إساءة. أعلم أن هذا لا يغير حقيقة أن الكثير من الناس حساسون للغاية تجاه الكلمة، ربما نظرًا لأن بعض الأشخاص

* ناشطة عراقية في حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة.
حسابها على انستغرام هو ayalkaisi.

REUTERS

استخدموا الكلمة كوصمة عار، ما جعل من المقبول تجنب استخدامها كلما أمكن ذلك.

أحب أن أفكر في الأمر من حيث معناه في لعبة الجولف أو الرياضات الأخرى، الإعاقة هي نوع من النعمة يحددها مستوى المهارة الذي يسمح للاعبين بالمنافسة. إذ كلما زادت مهارة الشخص، انخفضت إعاقته.

بتلك الفترة، كانت مواقع التواصل الاجتماعي بأوج ازدهارها وبداية غزوها عالمنا، وقد فكرت حينها أن أنشئ صفحة على موقع الانستغرام أشارك من خلالها يومياتي مع ساقي الاصطناعية وأنا أمارس جميع تفاصيل حياتي، من المدرسة إلى الدرس الخصوصي إلى السوق إلى المنزل، وهنا أصبحت أمام مسؤولية كبيرة وصرت مطالبة بالظهور على أرض الواقع لأشارك الناس قصتي.. وهذا ما حدث.

شاركت بالعديد من المهرجانات والفعاليات التي تدعم كل الناجحين والمميزين وصارت صفحتي على الانستغرام هي سبيلي الوحيدة للتصالح مع نفسي، وبث نفس الرسالة التصالحية تلك للآخرين، فصرت أشاركهم كل نشاطاتي الاجتماعية بالفعاليات والندوات وصار الجميع يشاهد آية التي فقدت ساقها، بينما تمارس حياتها بكل تفاصيلها، وأصبح الواحد منهم يتساءل: لماذا لا أفعل أنا الآخر مثلما تفعل آية؟

وقد كان هذا عين هدفي من ظهوري على مواقع التواصل الاجتماعي.

بشكل عام، لم أكتفِ في ذلك الوقت، بنشر رسالتي وأفكاري لذوي الإعاقة فقط، إنما صرت أفكر بكيفية الدخول لعالم الإعلام المرئي.

مع الوقت، لانت فطرتي بالتحدث بشكل سلس ومفهوم، ودفعني شغفي بالحديث أمام المرآة إلى أن أطور نفسي حتى أدخل هذا العالم، وفعلًا، استغرقتني سنوات من التطوير والتمارين والاجتهاد والفشل والنجاح في ممارسة المهنة على محطات بسيطة بتقديم البرامج، ثم بعد سنتين دخلت رسميًّا عالم الإعلام التلفزيوني وأصبحت أول مقدمة برامج لذوي الإعاقة في الإعلام العراقي وإلى اليوم ما زلت أمارس هذه المهنة الأحب إلى قلبي.

لكن وجودي بالإعلام المرئي لم يمنعني من الظهور على مواقع التواصل، وكمْ كان لها دور بارز بصناعة أشخاص يتقبلون ذواتهم وإعاقاتهم. منذ دخولي إلى عالم التواصل الاجتماعي عام 2015 إلى الآن، وأنا أستقبل يوميًّا العديد من الرسائل من أفراد استطاعوا أن يتقبلوا أنفسهم وتشجعوا للخروج إلى الشارع بسببي وبسبب وجودي بينهم، واستطاعوا أن يغيروا أنفسهم ووجهات نظرهم بسبب ما شاهدوه على صفحتي، وبسبب شخصيات أخرى أيضًا سلكت نفس المسلك وحملت ذات الرسالة لهم، وهم كثر وعديدون وبمختلف الإعاقات، عند هذه النقطة، يتضح الدور الفعَّال جدًّا لمثل تلك المواقع والمنصات بتكوين أشخاص خالين من الألم والإحباط.

في تجربتي، أنا لم أتوجه إلى ملف حقوق ذوي الإعاقة والهتاف من أجل الحصول على حقوقهم والمناداة بخلق منشآت مخصصة لهم أو إنشاء منظمة خاصة لهم.. لا.. الأمر لم يعد بهذا الهول الآن، بل إن هذا لا يقدم لهم أشياء ملموسة!

ولأن ما نحتاجه اليوم، وكل يوم، هو مساعدة المعاق على أن يتصالح مع نفسه ويتقبل إعاقته ويواجه المجتمع بها، فإن كل ما سبق ذكره لا تقدمه مجموعة معنية بحقوق ذوي الإعاقة أو إدارة مؤسسة معنية بهم. اليوم نحن بحاجة إلى فعاليات تدمج ذوي الإعاقة بالمجتمع، لا كيانات تعزلهم بإقامة أشياء خاصة بهم!

هذا ما يحتاجه ذوو الإعاقة لا شيء آخر، وهذا ما طبقته بالفعل بدخولي إلى الإعلام المرئي ودمجت نفسي مع الأصحاء رغم أن الإعلام غالبًا لا يتقبل إلا الأصحاء وفائقي الجمال وفارعي الطول.

وبرأيي، لا يوجد سبب للشعور بعدم الارتياح عندما تقابل شخصًا معاقًا، نحن مجرد بشر. في الواقع، أن تكون معاقًا هو شيء إنساني للغاية، وأنا شخصيًّا أعتقد أن حياتي رائعة، فأنا محاطة دائمًا بأشخاص عظماء يقومون بأشياء عظيمة، يمكنك أن تقول أني معاقة، لا بأس حقًّا!

وأستطيع أن أجزم بأن الإصرار على الرسالة والهدف وتطبيقهما أمور تحتاج إلى الإيمان، وأنا مؤمنة بنفسي جدًّا ومؤمنة بكل شخص أصبح قويًّا اليوم بسببي أو بسبب شخص آخر شاركني الرسالة والهدف ■

أرواح الماضي على ظهر

ندى ثاقب*

ICRC

في دُرج «ترابيزة» خشبية مستهلكة استغنت عنها صاحبتها المُسنَّة، التي كانت تسكن شقتنا قبل أن نستأجرها، عثرت على عملات ورقية «مكرمشة»، فئة عشرة قروش.. لستُ متأكدة إنْ كان لا يزال مسموحًا بتداولها حاليًّا، لكنها على أي حال صارت بلا قيمة.

فردتُ أوراق العملة وقرأتُ عليها معايدات ورسائل حب كُتبت بخط اليد..

على إحداها كُتب تاريخٌ يسبق أيامنا هذه بـ 22 عامًا. إنها رسالة بلا أسماء.. يبدو لي أن صاحبها صاغها غامضةً لثقته بأن المرسَل إليه الإهداء وحده سيفهم ولن يحتاج إلى إشارات أو توضيحات: «حياتنا ليست دائمًا ملكًا لنا ولكنها بالتأكيد ملك لمن نحبهم»..

هل كانت الأرملة صاحبة الشقة هي الشخص المعنيَّ بالرسالة؟ لماذا إذن تركت رسالة زوجها الراحل في البيت بعد تأجيره؟

ربما كانت لعبة من قوى الطاقات غير المرئية جعلت المرأة تنساها في هذا الدرج، لأن روح صاحبها لم تزل متمسكة بحقها في البقاء بهذا المنزل، باعتبارهم السكان الأصليين..

وربما تأجير البيت – لأغراب أمثالنا – لم يكن من رغبة هذه الروح، أو ربما أرادت أن تتواصل معنا ونتعارف بشكل ما غير تقليدي.

عملة ورقية أخرى حَوَت إهداءً يبدو من صديقة.. لم تدوِّن التاريخ لكنني بعد تدقيق في تصميم «البَريزة» – اسم شعبي مصري لفئة العشرة قروش – انتبهت إلى توقيع وزير المالية «M. Elghareeb» عليها. بحثت عن قائمة وزراء المالية المصريين عبر الإنترنت، ووجدت اسم «محيي الدين أبو بكر الغريب» في حكومة كمال الجنزوري الأولى، وقد تولى حقيبة المالية من عام 1996 إلى 1999.

إذا فرضنا أن تلك العملة الورقية قد صدرت في نهاية فترة «الغريب» كوزير، فإنه يفصلنا عن هذا الإهداء 23 عامًا تقريبًا.

بعد أيام قليلة من تأملي تلك الإهداءات، تجمعت عائلتي بمناسبة عيد الأضحى، وحصلت ابنتي ذات الثلاثة أشهر على مبلغ مالي كـعيدية، عبارة عن عملات بلاستيكية من فئة عشرة جنيهات، خالية من الإهداءات بالطبع لأنه من غير الممكن أن يكتب أحد أو يطبع على مادة البلاستيك.

كانت الحكومة المصرية قد أصدرت تلك العملة الجديدة من نوعها قبل أيام من حلول العيد.. وأصدرت أيضًا قرارًا قبل سنوات يجرِّم الكتابة على العملة ويحظر تداولها في البنوك.

لقد أفلتت عملات الدرج بأعجوبة من هذا الزمن..

تبدو لي هذه نهاية حتمية لتلك العادة، فربما يكون زمن الكتابة الورقية بشكل عام قد انتهى.. فمن منا قد يفكر في كتابة خطاب وإرساله عن طريق البريد مثلًا إذا كان في إمكانه بلمسة واحدة إرسال ما يريد بأي عدد من الكلمات والمشاعر والمقاطع الصوتية لتصل ويقرأها المرسَل إليه في ذات اللحظة؟

بفضل طقوس حياتهم – الأقل تطورًا والأكثر بساطة – عاشت سيرة مَن سبقونا السُّكنى في هذه الحياة أطول من أعمارهم ذاتها.. تواصلت معنا وجعلتنا نفكر ونحلل أشياء ونتخيل شكل حياتهم وعلاقاتهم، رغم أن الموت قد غيَّب أجساد أصحابها..

أما زمننا فلن تعيش معايداته أكثر من 24 ساعة، هي عمر محدد لـ«ستوري» على أحد

* كاتبة ومصورة فوتوغرافية مصرية.

مواقع التواصل الاجتماعي، إنْ تأخرت دقيقة واحدة بعدها لن تصلك المعايدة أصلًا.

عليك أن تكون سريعًا جدًّا لتواكب التطور وتستقبل أكبر قدر من الأخبار والتهاني والرسائل وترد/تعلق عليها كي لا تخسر أصحابها.. لكن لن يكون لديك أبدًا وقتٌ كافٍ أو إمكانيات لتنظيم وترتيب ما يصل إليك من حيث الأهمية/الاهتمام مهما حاولت..

هذه رسالة حميمة من شخص عزيز لم تقرأها، أو قرأتها ولم يسعفك الوقت لترد، و– أعدك – ستنسى!

ستقوم غدًا – القريب أو البعيد – بمسح كل شيء، لأنهم لم يخترعوا «هارد ديسك» به مساحة تخزين تستطيع استيعاب كل ما يصل إلينا في هذا الزمن الاستهلاكي المتوحش..

واقعنا أصبح عنيفًا مغلَّفًا بألسنة لهب حروب واعتداءات وقتل وخطف وكوارث طبيعية واحتباس حراري غير مسبوق.. يعادل ذلك اللهب شديد الحُمرة فضاءً أزرق نسميه أحيانًا «فيسبوك» وآخر «تويتر»، بالإضافة إلى غيرهما من منصات استُخدمت في تصميمها درجاتٌ مختلفة من البالتة الزرقاء الباردة لتهوِّن سخونة الأحداث، لكنها مجرد إطار تشاهد فيه في يومك العادي جريمة قتل مصورة بطريقة اللايف في مشهد نهار خارجي بين منشورين، أحدهما ساخر وآخر عن زفاف صديق.

نسمة أخيرة على طريق السويس

اختارت روح صاحبتي المفضلة طريق القاهرة/السويس لتصعد إلى السماء من خلاله، تاركة عليه جسدها وسيارتها.. رفع أحدهم صورًا للحادث وبطاقة هوية الضحية ونشرها – دون إذنٍ – على فيسبوك لعل أهلها أو أصدقاءها يتعرفون عليها.. وقد تحقق مراده فعلًا خلال دقائق..

أفكر أن الأمر، لو كنا نعيش في عالم بلا سوشيال ميديا، ربما كان سيكلفنا أضعاف ذلك الوقت ليصل إلينا خبر رحيلها.. هذا هو حدُّ السلاح الطيِّب في القصة.. لكن الحدَّ الآخر المؤلم هو أنني لا أعلم متى ستتوقف خيالات تلك الصورة عن مطاردتي وعصْر قلبي.. أو متى أقطع طريقًا سريعًا دون أن تظهر لي على جانبيه كالسراب؟

في عالم السوشيال ميديا اللا محدود.. مَن يضع ميثاقًا إنسانيًّا يحترم مشاعر الناس وآلامهم؟ وإذا وُضع الميثاق فمَن سيضبط نفسه ويحترمه؟

بالأمس القريب كانت أمي تفصل صفحة الحوادث عن الجريدة قبل أن تصل إلى أيدينا نحن الصغار، كي تحمي مشاعرنا من قسوة العالم.. اليوم رحلت أمي وأصبح العالم أشد قسوة وأصبحت الصفحة الرئيسية لأي وسيلة سوشيال ميديا تحتضن ألوان الأخبار عائمة دون فصل، ولن أكون أمًّا يمكنها أن توفر لصغيرتها ذات الحماية.

هل تبلَّدت مشاعرنا واعتدنا الأمر؟

ردود فعلنا صارت مكررة بطريقة «القص واللزق»، وقد تكون مزيفة أحيانًا، حتى إنني تلقيت يومًا تعليقًا كتعزية بصيغة المؤنث، بينما كان المنشور يخص حالة وفاة لرجل.

يدور العالم حولنا بهيستيريا، ستدهسنا سرعته إذا توقفنا لحظة تأمل، وسنشعر بفقد وخسارة وعدم تحقق إذا لم نجارها.

أين سيكون مصير تعازينا وتهانينا و«لايكاتنا» بعد عشرين سنة أخرى من الآن؟ من سيجدها ويتذكرنا أو يحكي عنا؟

ربما نحن نعيش عالم اللا مشاعر واللا خلود، ولا بديل عن ذلك لأن التيار قوي وممتعٌ في آن.. لن نستطيع التجديف ضده وإلا هلكنا بصورة أخرى من صور الغرق ■

ربما يكون زمن الكتابة الورقية بشكل عام قد انتهى.. فمن منا قد يفكر في كتابة خطاب وإرساله عن طريق البريد مثلًا إذا كان في إمكانه بلمسة واحدة إرسال ما يريد بأي عدد من الكلمات والمشاعر والمقاطع الصوتية لتصل ويقرأها المرسَل إليه في ذات اللحظة؟

في عالم السوشيال ميديا اللا محدود.. مَن يضع ميثاقًا إنسانيًّا يحترم مشاعر الناس وآلامهم؟ وإذا وُضع الميثاق فمَن سيضبط نفسه ويحترمه؟

علا العجيلي*

لقطات صلاح مرعشي توثق ذاكرة مدينة عمرها بعمر الحياة:

مزيج الفوتوغرافيا والسوشيال ميديا

باحث عن الماضي في خضم الحاضر، وعن الجمال في رحم الدمار. هذا ما ستقرأه في أعمال صلاح مرعشي، المصور الفوتوغرافي السوري الذي اقترن اسمه باسم حلب الشهباء. فهو ينتمي إليها، ويكرس عمله لها، أو كما يقول: «من لديه حاضرة كحلب ويبحث عن غيرها ليؤرخها بصريًّا؟ أعتقد لا أحد».

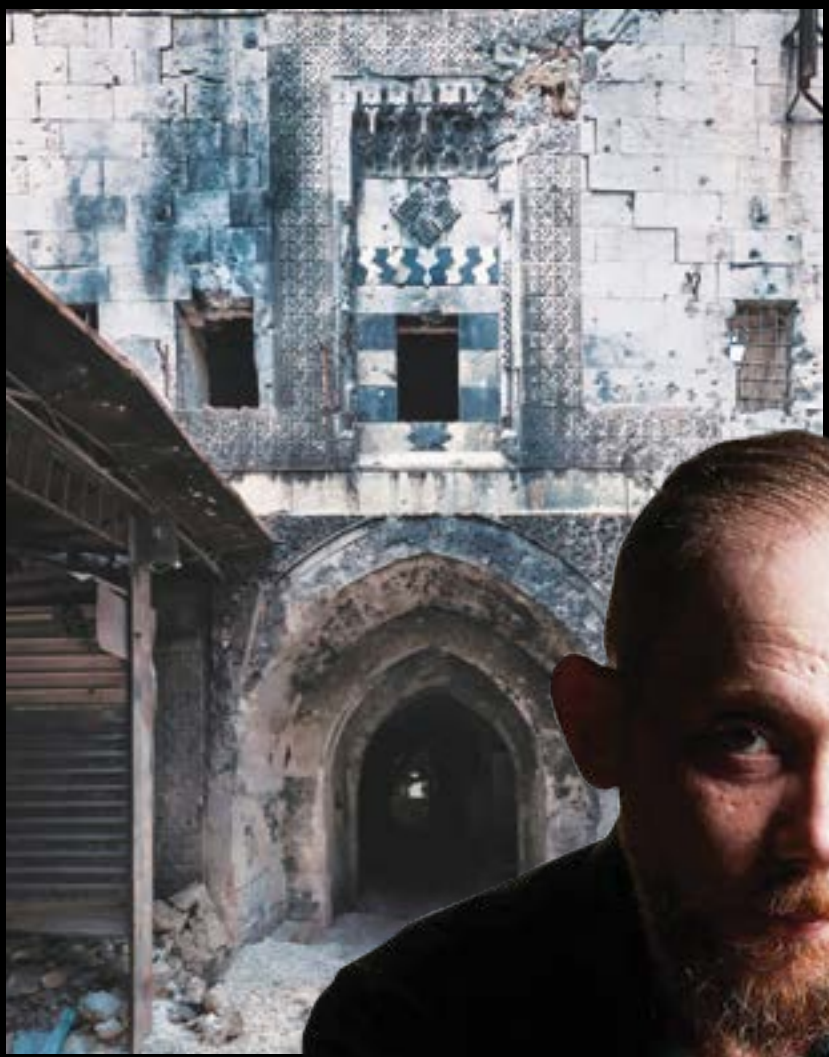

بدأت رحلة عدسة المصور الفوتوغرافي السوري صلاح مرعشي منذ أكثر من خمسةَ عشرَ عامًا [أي قبل الأزمة الطاحنة التي عصفت بسورية وبمدينته الأم حلب]. استهوته العمارة الداخلية لبيوت حلب في أحيائها المختلفة. وعندما أوكلت له مهمة إنتاج المواد البصرية لأحد الكتب المعمارية، التي تطلبت توثيق عدة بنايات في المدينة القديمة، انتقل صلاح من تصوير جماليات المنازل إلى تجربة ملهمة تمثلت في التوثيق البصري لحاضرة كاملة من السحر والبهاء. عندها اكتشف كنزه الحقيقي ومسح بيده على لؤلؤه المنضود.

كانت هنا البداية الحقيقية، بداية قصة حب من الطراز الرفيع، فلكل حي رواية وفي كل خان حكاية ولكل مبتغى درب. وكل دروب الحب توصل إلى حلب.

كان هذا قبل أن تحط الحرب الطاحنة رحالها في سورية. بدأ صلاح بالتعرف إلى الشهباء من خلال كاميرته، ليس فقط بعين المحب وإنما أيضًا بعين فنان تبحث عن التميز وتحاول رؤية الجمال في أدق التفاصيل. ومن هناك قرر أن يُري العالم ما رآه، فمن المهم أن يساهم كلٌّ من منبره بنشر الجمال من منظوره ورؤيته الخاصة. فنُشرت أولى صوره في المجلات المطبوعة المشهورة وقتها، وأخذ صيته يذيع في مجال التصوير الفوتوغرافي المعماري.

ما إن باشر المصور ابن حلب بإنشاء أرشيفه الخاص بالمدينة القديمة مقسمًا إياه

ستبقى الصورة الفوتوغرافية على مر العصور هي احتضان للزمن في إطار من الألوان

إلى الشوارع والأحياء والأسواق والخانات، واضعًا خطة سير تضمن ألا يفوته مَعلَم أو تفصيل وألا يلقي نظره على مكان إلا وكان لعدسته نصيبٌ منه. وهذا ما حدث، لكن سرعان ما باغتت الحرب هذه الخطة. اندلعت الحرب فجأة واقتلعت البشر والحجر ومعها اقتلعت الأحلام والآمال. أصابت بندوبها ذاكرة مدينة عمرها بعمر الحياة.

الشهباء تحت الحرب

مرت سنوات النزاع على أهالي المدينة ومحبيها كما المرور من عنق الزجاجة، كان لا بد لنا أن ننتظر النهاية. استغل صلاح هذا الوقت ببناء معرفة وكسب وتشارك خبرات تقنية في عالم التصوير، ومع تطور العصر وسيادة مواقع التواصل الاجتماعي التي شكلت ملتقى مهمًّا للمصور ليبني ذاكرة بصرية متجددة ويكتسب مهارات تقنية متقدمة على كافة الأصعدة.

يقول: «لا أعلم كيف مر الوقت، كل ما أعرفه أن الأصوات مرت، والمشاهد مرت كسكاكين تخدش الذاكرة تارة وتضرب على أوتار الإحساس تارة أخرى. حتى الألوان باتت جميعها حمراء مؤلمة وسوداء قاتمة. حينها اعتزلت عدستي، فلا طاب النظر لمآسي المليحة».

يتابع: «وقررت أن أشغل الأيام بشحذ طاقتي والبحث علميًّا وعمليًّا، إلى أن تعود الرؤية صافية وتنجلي الألوان القاتمة... ويعود لي شغفي المعهود».

مع استحالة الوصول حينها للمدينة القديمة وإغلاق جميع منافذها وأبوابها، كان لا بد لنا أن ننسج عشرات المشاهد والقصص عما يحدث هناك آملين أن تلك الأصوات المدوية التي نسمعها ليلًا ونهارًا، ما هي إلا صدًى مهولًا لأشياء لن تترك أثرًا على الشهباء، هذا ما أملناه حينها.

بعد عدة أعوام، بعد أن تعبت الحرب من بلادنا، وبعد أن تعبت بلادنا من الموت، فتحت المدينة القديمة أبوابها المنهكة على مصاريعها معلنة استقبالها للزوار والمشتاقين من كل حدب وصوب. كان صلاح مرعشي مثل كثيرين، متلهفين لرؤيتها بعد طول انتظار ولكن الخوف من المفاجأة، الخوف من أن تصدم بما تحب وبمن تحب كان أكبر من الشوق نفسه. الهوى غلّاب

لم يمر وقت طويل قبل أن يتحقق كلام الست «هو صحيح الهوى غلّاب؟» صدقًا غلّاب. استل مرعشي عدسته مقررًا بدء رحلة جديدة لم يعرف أنها ستكون رحلة العمر. مشاعر مختلطة انتابته عندما وطأت قدماه منطقة «الجديدة» أول أحياء المدينة القديمة، حاول أن ينقل هذه المشاعر لنا ولكن أظن أن

•••

* مسؤولة التواصل والإعلام في اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالبعثة الفرعية في حلب، سورية.

بعد عدة أعوام، بعد أن تعبت الحرب من بلادنا، وبعد أن تعبت بلادنا من الموت، فتحت المدينة القديمة أبوابها المنهكة على مصاريعها معلنة استقبالها للزوار والمشتاقين من كل صوب

ما بداخله يحتاج إلى لغات وفنون العالم أجمع للتعبير عنه.

مع بداية عام 2018 بعد أن أشبعت البشرية من مشاهد الحرب والدمار والركام من مئات الفيديوهات وآلاف الصور، خصوصًا هؤلاء الذين لم يزوروا حلب أو لم يتعرفوا إليها قبلًا بصورة قديمة أو كتاب أو قصيدة ولم يستنشقوا رائحة غارها وبهاراتها وفستقها. لهؤلاء خصيصًا وللعالم أجمع قرر مرعشي أن يبحث عن الماضي وأصالته في الحاضر وتطوره، وقرر أن يرسل رسالة إلى البشرية عنوانها الجمال والجلال، للتعريف بدانة سورية والشرق: حلب الشهباء، لا سيما أننا في عصر السرعة الذي يجعلك تصل إلى الصين بكبسة زر أو تزور مجاهل أفريقيا وأنت قابع في منزلك تحتسي كوبًا من القهوة العربية المهيلة.

انطلاقة مختلفة

كانت جولاته تبدأ من السادسة صباحًا وربما قبل، ولا تنتهي إلا مع تخييم الظلام، من خان الشونة إلى خان الجمرك ومن سوق السقطية إلى ساحة الحطب. يمنةً ويسرة، شمالًا وجنوبًا، قلبًا وعقلًا، زارها كلها بكل حواسه وجوارحه. بدايةً كانت صور صلاح تركز على جماليات الأماكن، لقطة معبرة، مشهد جميل، صورة كاملة العناصر. ولكن، تغير كل هذا مع انطلاقة فكرة جديدة، النشر على منصات التواصل الاجتماعي أو بالأحرى التعريف عن حلب من خلال منصات التواصل الاجتماعي، فالنشر كان ملازمًا لصلاح منذ وقت بعيد، أما فكرة التعريف والتوثيق فكانت جديدة نوعًا ما، فالعصر الآن كما أسلفنا الذكر هو عصر السرعة.

صارت عدسة مرعشي أكثر تخصصًا. بحث تقنيًا عما يفيده ويساعده بإيصال فكرته الجمالية عن مدينة اجتاحها النزاع قالبًا ولكن قلبها ما زال نابضًا بالحياة، اكتشف تقنية معاصرة مهمة وأصبح رائدًا محترفًا بها، ألا وهي لقطات الصور البانورامية بزاوية 360 درجة. وهي تقنية تعطي فكرة واضحة وشاملة عن المَعلَم الملتقط.

يصفها قائلًا: «بت قادرًا على استبدال المكان والزمان مع المشاهد. فعن طريق صور الـ 360 أصبح الناظر يشعر بخشونة الحجر وتشققات طلاء الجدران. تلفحه رياح الشتاء وتتساقط عليه أوراق الخريف. يبدو وكأنه قابع في وسط المَعلَم، لا تستطيع عيناه الاستقرار على مشهد واحد فهو يريد أن ينسخ هذا الجمال كصورة كاملة متكاملة بعقله وقلبه».

لاحقًا، مع تزايد متابعي إبداعه. قرر إنتاج محتوى بصري من نوع آخر، محتوى أكثر شمولية يجمع بين الصورة والفيديو، أو إن صح التعبير الصورة المتحركة، وهذا ما كان.

انتقل صلاح إلى صنع جولات افتراضية كاملة من خلال صور الـ 360، أصبحت فيها اللقطة المبهرة جزءًا من عمل كبير ينقلك من عالمك الواقعي إلى عالم الصورة الأكثر واقعية. فها أنت تتجول بحمام السلطان لترى لون المرمر وتلتمس بنظرك طاسات النحاس القديمة بزخارفها بديعة الصنع وتنتقل بعدًا لترى الكنيسة الإنجيلية العربية بحلتها البهية، لتسكن قلبك رائحة عرق الزيتون القابعة بين مقاعدها الخشبية.

وهنا تمامًا يحدثني صلاح عن أهمية المنصة بنشر الفكرة، فالفن هو الرسول والصورة هي اللغة المشتركة التي تنقل رسالتك وإحساسك كمواطن سوري وعاشق حلبي للعالم بأسره، هؤلاء الذين لم يسمعوا بسورية إلا عبر نشرات الأخبار وشريط الأحداث العاجلة، ولكننا كما قال، أكثر من هذا بكثير، على الأقل هذا ما سأحاول إيصاله من خلال مشروعي المتواضع.

يقول: «موقع الفيس بوك على سبيل المثال داعم لصيغة صور الـ 360 والجمهور المستهدف هو باحث عن هكذا طبيعة محتوى يعد رائجًا في الأيام الحالية، من بضع مشاهدات إلى آلاف المشاركات، هكذا انتقل انتشار صفحتي الخاصة بالتصوير الفوتوغرافي من خلال تصميم المحتوى المناسب والهادف، فمن الصورة الأولى بحثت

بين تعليقات المتابعين عن الآراء التي تطور عملي، دعمت الجوانب التقنية وأخذت بنصائح المتذوقين والناقدين، ومع ازدياد عدد المشاركات كانت تصل بعض المواد إلى مئات الآلاف من المشاهدات وهنا تأكدت أنني على الدرب الصحيح، وما عليَّ الآن إلا أن أصعد درجة درجة آخذًا بتصوري أن العمل والجهد الدائم سيصل بنا إلى مرادنا لا محال».

يستأنف حديثه عن منصة الإنستغرام بأنه موقع بصري بحت، يعتمد على الصورة المميزة مع أبعاد صحيحة وألوان جذابة. فانتهج مبدأ الجذب البصري، لقطة جميلة – ربما بالأبيض والأسود كما يفضله هو – مع الهاشتاغ الصحيح لتسهيل عملية البحث والانتشار كفيلة بأن تجذب المشاهد ليصبح متابعًا ومتذوقًا للقيم التصويرية والإبداعية.

بجانب الجهد الذي يبذله والشغف الذي يملكه تجاه عمله والهدف الذي حمله معه منذ اليوم الأول، يعزي صلاح شهرته اليوم وسرعة انتشار أعماله لمواقع التواصل الاجتماعي التي خلقت له نافذة يرى بها العالم ويراه بها الجميع كما شيدت جسرًا بينه وبين المشاهد ووضعته هو وأعماله بمعرض حي دائم يستطيع من خلاله التعريف بفنه وبحكاية مدينة عمرها بعمر الحياة، قست عليها الأيام، ولكنها حية تزدان بعين محبيها وبكل عين وقلب يراها.

أخيرًا وليس آخرًا، من يريد التعرف على صلاح مرعشي صانع الجمال من رحم الدمار، ما عليه إلا أن يرى أعماله. وبعبارة أعمق عليه أن يرى حلب. فلسنا نحن فقط من نحسن الحديث عن الشهباء. فهي أيضًا تحسن الحديث عن أبنائها وعشاقها فتضع أكاليل من الغار على رؤوسهم وتلقي على أسماعهم تعاويذ حب تُسمى القدود الحلبية.

ستبقى الصورة الفوتوغرافية على مر العصور هي احتضان للزمن في إطار من الألوان، وذاكرة مدن لا تختصر إلا بإطار من حب وشغف وإبداع ■

تقرير مصور عن اللاجئين يمنح السوري سمير الدومي جائزة «الفيزا الذهبية»

منحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر جائزة «الفيزا الذهبية» الإنسانية للمصور الصحافي من أصل سوري، سمير الدومي، 24 عامًا، وذلك عن تقرير مميَّز عنوانه «طرق الموت»، أعده عن المهاجرين الذين يحاولون العبور إلى إنكلترا انطلاقًا من مدينة «كاليه» الفرنسية.

واعتبرت هيئة التحكيم المؤلفة من متخصصين في ميدان الصحافة وفي اللجنة الدولية أن هذا العمل الذي استغرق سنتين برفقة المهاجرين في شمال فرنسا عمل مميَّز من ناحية التصوير والتوثيق.

وقال المصوِّر الشاب السوري الأصل الذي يعمل لمصلحة وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)، في اتصال هاتفي أُجري معه مباشرة بعد مداولات الهيئة إنه «يشعر بفخر كبير لحصوله على هذه الجائزة التي تعتبر إقرارًا بعمله في عالم الصحافة المصورة الصعب».

خُصِّص موضوع النسخة الثانية عشرة من الجائزة للأشخاص النازحين واللاجئين والمهاجرين الذي يفرون من تداعيات الحروب أو الكوارث الطبيعية. وقال فريديريك جولي، الناطق باسم اللجنة الدولية في فرنسا، إن التداعيات الإنسانية للهجرة كانت أيضًا من ضمن المواضيع التي تشملها الجائزة.

تقول فيرونيك جايمار، المنتجة والصحافية لدى إذاعة فرنسا الدولية Véronique (RFI) Gaymard، والعضو في هيئة التحكيم: «كان الاختيار صعبًا نظرًا إلى جودة جميع الملفات المقدَّمة لكن ما أحدث الفرق هو جودة الصياغة والتوليف. فسمير ينقلنا من أول صفحة إلى آخر صفحة بين فصول قصة يرويها ومسار يأس وإحباط؛ قصة تُعزز وقعها مجموعة من الصور المعبِّرة».

سمير الدومي

صالة أخبار بديلة

أكتبُ عن الزوارق والمروحياتِ التي في عينَيَّ

طباعة من قالب حفر بارز، للفنانة الألمانية كيتي كولفتز (1867 – 1945)، اللوحة باسم «الأم»، من مجموعة «الحرب»، 1923

كلَّما حك السحابةَ طائرٌ، دوَّنتُ
فكَّ الحلمُ أجنحتي...
أنا أيضًا أطيرُ»

قضيتُ في أروقة العمل الصحافي والإخباري سنوات طويلة، لم أتوقف خلالها إلا للدراسة أو التدريس الجامعي اللذين لم يبعدا كثيرًا عن عالم الحروب والنزاعات وأزمات الدول وانتهاكات لبني البشر، لأعود مجددًا إلى صالة الأخبار وكأنها قدري.

في صالة الأخبار، تهرب مني اللغة التي تناسب الكتابة الذاتية التي أفر إليها وأختبئ فيها، لمصلحة لغة إخبارية جافة، طوَّرها عبر السنوات «محترفون» لتناسب نقل الخبر إلى القراء والمستمعين والمشاهدين محققًا مدققًا، مدعين أنه غير مُسيَّس ولا مصطبغ ولا ملون، قبل أن يمرروه لـ«محترفين» آخرين ليقرأوه بصوت محايد، لا يسمح لقلبك أن يميل شرقًا ولا غربًا.

نعم... لصالة الأخبار، أهديت سنوات طويلة من العمل الاحترافي المحايد، أو هكذا بدا لي ولهم، وفي صالة الأخبار، كنت «مسخًا جميلًا مُدرَّبًا»، على حد تعبير كاتب بريطاني وارى اسمه النسيان، على صناعة المحتوى الإخباري بحياد ودقة بغض الطرف عن انحيازاتي ومواقفي.

لكني في خلواتي لم أكن بكل هذا الاحتراف والحياد. لم أكن إلا امرأة مذعورة تختزن في عينيها آلافًا من المقاطع المصورة والصور الفوتوغرافية التي احتشدت في العينين عبر سنوات وسنوات، تحمل رائحة البارود والأشلاء وزوارق المهاجرين المتكفئة والغابات المحترقة من مناطق النزاعات والتظاهرات والقارات البعيدة... وفي الأيام الرائقة، كانت تكفيني أخبار جنازات الملوك ومسيرات لنسويات في أوروبا أو شمال أفريقيا ومهرجانات تملأ العيون بريقًا في أمريكا اللاتينية!

اليوم لا أكتب في صالة الأخبار، بل أكتب عنها، بلغتي أنا لا بلغتها...أكتبُ مستدعية كلمات محمود درويش العابرة للحدود وللغة والمفاهيم والحياة ذاتها:

«ومعي مفكرتي الصغيرةُ

دعم نفسي

يقول صديقي المعالج النفسي إننا – معشر صناع الأخبار في هذا العصر المحموم بالصورة وتكنولوجيا الاتصال – بائسون مثيرون للشفقة، وأن الدعم النفسي ليس ترفًا في حالتنا، وأن عيادات الطب النفسي في الماضي كانت تستقبل العائدين من الجبهة، أما اليوم، فالجبهة باتت تأتينا إلى مقاعد غرفة المعيشة الوثيرة... وحين ترتبط أرزاقنا – نحن صانعي المحتوى الخبري - بتسقُّط أخبار العالم شرقًا وغربًا، فإن الوضع أفدح وأكبر إنهاكًا.

ثم إننا - في الغالب – ندمن عملنا مع الوقت ودون أن ندري، لنصحو يومًا ما وقد غدت أخبار المدن المحتلة والمُحررة، وأزمات الدول الاقتصادية، وحكايات صفقات السلاح في الشرق والغرب، امتدادًا لأخبارنا الشخصية، وسببًا في تعكُّر مزاجنا أو صفوه..

تتسرب المواد البصرية إلى حياتنا رويدًا رويدًا، فنرى صور الحروب والنزاعات والمقاتلات الحديثة جنبًا إلى جنب مع سيارات الشوارع بينما نعبرها، وعلى واجهات المحلات بينما نبتاع الآيس كريم، وعلى شاشات الهواتف التي يشاهد عليها أطفالنا أفلام الجنيَّات الطيبات.

أذكر أنه في مطلع الألفية، كان الحيز المحتلُّ من حياتنا بالصور الوافدة من عالم الأخبار أقل مما هو عليه اليوم مع كل نوافذ الاتصال والمعلومات على هواتفنا الذكية. ما زلتُ أذكر أول صور طيَّرتها للعالم وكالات الأنباء لأحداث سجن أبوغريب مثلًا، وكان هذا في 2004، أي قبل أن تلقى وسائل التواصل في مصر كل هذه الشعبية التي تلقاها اليوم، فلم يكن متاحًا في بداية الحدث للكثيرين أن يطالعوا الصور التي سرَّبها آنذاك الصحافي الأمريكي

سيمور هيرش.. كنت يومها أقلِّب في الصور على أحد المواقع الأميركية بصالة الأخبار، فمر بي صحافيٌ مسنٌّ لم يكن على علاقة تُذكر بالإنترنت، واستوقفته الصور وبدأ يسائلني منفعلًا مروِّعًا كيف لفتاة مهذبة أن تفتح صورًا «غير لائقة» في صالة الأخبار، ولم يهدأ خاطر الرجل حينها حتى شرح له الزملاء حقيقة ما يجري وكيف أن تلك الصور هي حديث العالم بأسره!

كانت الأخبار في تلك الأيام تأخذ قليلًا من الوقت لتنتقل إلينا.. أما اليوم، فلا وقت تكاد تستغرقه الأخبار والصور لتطير وتستقر في أعيننا.. فالحدث يحدث الآن والخبر يأتيك الآن والصورة تسقط أمام عينيك الآن.

جبهة صناعة الخبر

حين سقطت بغداد في العام 2003، كنت أعمل بالفعل «على جبهة» صناعة الأخبار في إحدى صالات الأخبار العربية العريقة، وكنت حديثة عهد بهذا العمل. كنت أرقب هذا المشهد المهول وأتابع تفاصيله القاسية وسط زملائي الأقدم عهدًا بالمهنة، أحاول أن أقرأ وجوههم أمام مشاهد دمار المدينة العظيمة، لكن غلب على الوجوه ثبات الاحترافيين.

لم أكن أعلم أن تلك كانت البداية فقط، وأني سأظل لسنوات أدور في فلك ملف العراق الذي لا يكاد ينغلق.. لم أكن أدري أني ولسنوات طويلة بعدها ستطاردني صور سجناء أبو غريب، تأبى أن تبرح، مصرة إصرارًا غريبًا على أن تصطف في عمق مقلتي إلى جوار صور أخرى كثيرة تنتمي إلى الملف ذاته: لقطات كثيرة لا أذكر عددها لسيارات مفخخة تنفجر هنا وهناك.. مواجهات مسلحة بين ملثمين.... احتجاجات في 2011، ثم احتجاجات أخرى في 2019، وصمت كثيف متوتر مع انقطاعات الإنترنت المتتالية عن أجزاء العراق... مشاهد «للتوك توك» ينسل وسط المحتجين العراقيين بحجمه الصغير وحركته السريعة، ينقل المصابين إلى المشافي، وفي الخلفية شباب يرسمون غضبهم الملوَّن في «جرافيتي» على أسوار المدن..

سنوات وسنوات تتراكم المقاطع المصورة من العراق في عينَي، أدرك أنها هنالك تشوش رؤيتي، أرى حياتي اليومية عبرها، وأعجز عن إزالتها... وفي أذنَي يتردد قول الشاعر: «بغدادُ.. لها أن تحسَّ التعب»..

وليست صور العراق وحده التي تأبى أن تنزاح من عينَي.. ثمة الكثير من الصور التي لا أستدعيها غالبًا بإرادة كاملة، وإنما تسري هي في عينَي غالبًا كشريط مصور يعمل تلقائيًّا وقتما شاء، منتقيًا ما يحب من الصور بشكل عشوائي..

أفغانستان بدورها صاحبتني – ولا تزال – طويلًا..

صور متفرقة لفتيات يقفن صامتات في البرقع

سلمى أنور*

الأزرق على مسافة من عدسات التصوير، وفي أذيال أثوابهن صغار ينظرون إلى المصورين بمزيج من الدهشة والخوف.. صور لأناس يفرون من خطر ما يلاحقهم.. صور أسلحة مبعثرة هنا وهناك.. صورة لسيارة تابعة لجهة دولية معطلة على الطريق لا أدري ما حلَّ بطاقمها.. صورة لتمثالي بوذا العملاقين في وادي باميان.. ومقاطع مصورة صامتة لجبال في شرق البلاد، حيث قُتل طبيب ياباني عمل لعقود في أفغانستان لإغاثة السكان من الكوارث المتتالية التي حلت وتحل عليهم كل يوم... هلمَّ أيها الطبيب الياباني! تعال لتصطف إلى جوار أطباء إغاثة آخرين في عينَيَّ.. أطباء لا يكفون عن العمل على خط النار وينتظرون حتفهم في كل حين.

تعيدني الصور مهرولة من أفغانستان إلى الجوار القريب.. الأراضي المحتلة، التي لا تكاد تغيب عن العيون والحكايات والسينما والأغنيات.. ومتى غابت فلسطين؟

شيرين تسكن العينين

لكن من بين كل أيام اللّه في فلسطين، يلح عليَّ يومُ استشهاد شيرين أبو عاقلة.. لماذا شيرين وصورها تسكن العينين دون سواها؟ لا أدري حقًّا... فعيناي لهما إرادتهما المستقلة عني..

أذكر يومها أني وصلت مكتبي بموعدي في الصباح الباكر، جلست أتصفح حساباتي على السوشيال ميديا سريعًا قبل أن أطلق الدوام، قبل أن تصدمني صورة شيرين الأخيرة..

جلست أردد همسًا: قتلوها... قتلوا شيرين.. قتلوا الفتاة الحلمَ لنا منذ أن خطونا خطواتنا الأولى في عالم الصحافة والاهتمام بالميادين والحروب والصراعات والزعماء وحركات التحرير.

منذ تخرجي في الجامعة، وأنا أتابع طلة شيرين على الشاشة.. أراها في النشرات الإخبارية، في المداخلات، أتتبعها في الفواصل بين البرامج.. أعرف صوتها، وأعرف أنها صوت لكثيرين لا صوت لهم.. كنت أخالها دومًا تمس حجارة في كفها لا ميكروفون، وأندهش لثباتها وسط صوت الرصاص والانفجارات.. رحلت شيرين ولم أجد من اللائق أن أنعيها تحت وسم «ارقدي في سلام».. لا يليق بها إلا وسم «ارقدي بقوة»

لم أهدأ خاطرًا إزاء الأمر إلا بعد أن رأيت رسمًا زيتيًّا لمشهد استهداف شيرين، وانحناء الرأس دون انحناء القلب، وبدلًا من كل بقعة دماء على جسدها، ثمة وردة حمراء صغيرة متفتحة.. انشرحت للفكرة وهنأت خاطرًا..

لكن صورة كلبها الصغير ينتظرها أمام النافذة تؤلم عينَيَّ.. تعال أيها النابح الصغير.. اصطف إلى جوار كثيرين في عينَيَّ.. ثمة متسعٌ للحيوانات الوفية أيها الصغير..

صور أخرى تحملني شمالًا، مع زوارق المهاجرين الفارين من منطقتنا المنكوبة إلى حلم الشمال لا أكثر منها في عينَيَّ..

زوارق كثيرة تسبح خاوية في ركني كل عين، بعضها منكفئ على الجوانب، أو لأعلى، وبعضها مكدس بأناس كثيرين، بعضهم أطفال ومراهقون وكثيرهم بالغون، والكل على تفاوت الأعمار صامت متطلع للمجهول..

تسبح الزوارق بحُريَّة في عينَيَّ، في مشهد متحرك باستمرار لا يكاد يثبتُ فيه إلا جسد طفل صغير في قلب المشهد.. إيلان السوري الكُردي ينام نومته الأخيرة وادعًا على الشاطئ، مصدِّرًا فردتَي حذائه الصغيرتين إلى الأبد لعينَيَّ... يا اللّه! كم أحب هذا الحذاء الصغير!

ضيف ثقيل

في نهايات 2019، وبينما كنا ننخرط، الزملاء وأنا، في تغطية احتفالات رأس السنة الطويلة 2020، كان بعض عقلي منشغلًا بتقارير الفيروس الفتاك في الصين.

كنت أحاول سرقة شيء من البهجة فكدست على «الديسكتوب» أمامي صورًا عدة لأشجار الميلاد من هنا وهناك، وبعض صور لصلوات عيد الميلاد من كنيسة المهد في بيت لحم، وترانيم من هنا وهناك.. وفي لبنان، الأزمة المالية الطاحنة لم تمنع اللبنانيين من صنع أشجار ميلاد اقتصادية شاخصة بنجومها الصغيرة اللامعة في وجه المصارف المفلسة والاشتباكات على هامش الاحتجاجات.. أتابع مبتسمة مقاطع مصورة لاستعدادات سانتا كلوز لرحلته السنوية على زلاجاته السحرية الظريفة، وخلافًا طريفًا بين فنلندا والدنمارك اللتين تحاول كل منهما إقناع العالم بأن أرضها هي الموطن الأصلي لرجل الهدايا الطيب.. أكتب سكريبت فيديو أدور فيه ●●●

* كاتبة صحافية وروائية مصرية، صدر لها «الصعيد في بوح نسائه» و«نابروجادا».

العالم بالمشاهدين، أشاطرهم بعض بهجتي مع الاحتفالات في الشرق والغرب..

لكن تقارير الفيروس القاتل تطل برأسها على استحياء قادمة من الشرق الأقصى.. لم أعلم وقتها كذلك أن تلك التقارير الإخبارية القليلة التي تُلغز أكثر مما تُفصح، لم تكن إلا البداية لمشهد سوريالي عالمي سيطول زمنه، وإغلاق ثقيل سيلقيني في نوبة اكتئاب بدت كأنما لن تنتهي أبدًا، ودوامة تقارير مصورة ومكتوبة ومقالات ومنشورات وداع عدة سأكتبها بينما أختبئ وأخبئ ابنتي صغيرتي وأمي في المنزل من الفيروس المتوحش، وأقف له متحفزة على كل ثغر، وفي يدي بخاخة المطهر..

أيامها، كانت حواسي منهكة، فصوت سارينة الإسعاف أكثر ما ملأ أذنَيَّ، مع طوفان الصور التي سكنت عينَيَّ من فترة الإغلاق.. لذلك حين كُلِّفت بكتابة سكريبت توثيقي بنهاية العام 2020، لم تكن المادة الصوتية التي صاحبت بداية الفيلم التوثيقي القصير إلا الانتقال الخاطف من أصوات صلوات عيد الميلاد إلى صوت سارينة إسعاف يرتفع تدريجيًّا، مصحوبًا بصوت تنفُّس بطيء، خبرناه جيدًا في أيام الكورونا.. صوت واهن يصارع الموت دون كثير أمل.

غزو النفوس

يقول أهل الاختصاص في علل النفس والنوم ودهاليز العقل الباطن إن فترة الجائحة خلّفت اضطرابات نفسية جماعية في العالم من شرقه إلى غربه، وأن أحلام الناس (ممن خضعوا للفحص وللتجارب) أثبتت أن الفيروس غزا العقول والنفوس كما غزا الأجساد.. اجتمع المبحوثون في تلك التجارب الخاصة باضطرابات النوم أيام الجائحة على رؤية كائنات شريرة تركض خلفهم، تحاول اقتناصهم، وتفنن عقل كل مبحوث في تصوير الكائن الشرير.. فهو تارة عنكبوت عملاق، وتارة أخرى وحش بأضراس طاحنة... مهما يكن.. أنا لم تطاردني الوحوش في كوابيس ما بعد الجائحة.. كانت أحلامي بيضاء باهتة خالية من المعنى، ولم أكن – لأيام طويلة – أفكر إلا في الموت، وفي أني لن أدع الفيروس الدقيق المتسلل هذا يظفر بأي ممن أحب..

وبينما أحارب الفيروس على جبهتي الداخلية، كنت أملأ عينَيَّ بالمزيد من الصور من العالم الخارجي: صور الطائرات المدنية المكدسة وقوفًا على المدارج منذرة بتقطع أوصال الكوكب.. صور الحيوانات تمرح في المدن وعلى مواقف الحافلات وقد ارتاحت من ضوضاء بني الإنسان.. صور قرويات من الهند يبكين أمام مستشفيات رقيقة الحال.. مقطع مصور لشاب مصري يفر من الحجر الصحي ركضًا في الشوارع خشية أن يموت وحيدًا منسيًّا..

ومقاطع لأناس من روسيا وإسبانيا ولبنان يرقصون في شرفات المنازل تحديًا لوحدة العزل وكآبته، بينما ينخرط باحثون يظهرون – متأنقين – على شاشات التلفزة العالمية ليشتبكوا في حوارات عصبية حول أصل الفيروس وإن كان مُخلَّقًا أم طبيعيًّا..

هؤلاء جميعًا وآخرون ما زالوا محتشدين، يرقصون ويتنفسون بصعوبة ويبكون ويركضون فارين من الحجر، في عينَيَّ.. يروحون ويجيئون بين زوارق الهجرة غير النظامية التي تسبح هنا وهنالك.

AFP

ما زال صديقي النفساني ينصحني بالنوم مبكرًا، بتمارين الاسترخاء، بإغلاق الهاتف واللابتوب لساعات متواصلة كلما أمكن، ويذكِّرني: متابعة المحتوى الإخباري لمدة تزيد على الست ساعات يوميًّا خطر على الصحة النفسية والعقلية، والدراسات تقول إن 80 في المائة من الصحافيين في العالم عرضة للصدمة واضطرابات ما بعد الصدمة

صور صور صور

ثم جاء العام 2022 بالأزمة الأوكرانية، واعدة عينَي بالمزيد من المادة البصرية: صورة لمجندة تنتظر في خندق ما.. ناقلات جنود.. مسنَّاتٌ يتدربن على حمل السلاح.. نازحون ونازحات يحتشدون على البوابات في المناطق الحدودية. تهديدات نووية وعقوباتٌ اقتصادية تصاعدية وأزمة طاقة فادحة وأحاديث عن شتاء أوروبي مظلم على الأبواب.. مروحيات متعددة الأغراض كثيرة بدأ أزيز محركاتها يسكن أذنَي في أسابيع قليلة، ودرونز صغيرة كثيرة بدأت تسكن سماوات عينَيَّ، بعضها للاستطلاع وجمع المعلومات، وبعضها ينفجر في قلب هدفه.. صواريخ باليستية ودروع جوية ودفاعات متطورة وقاذفات أسرع من الصوت ومُسيرات بحرية لا أدري ما تفعل تحديدًا!

صور صور صور.. وحرب تستمر لأطول مما خُطط لها بكثير.

لليوم، ومنذ أواخر فبراير 2022، ما زلت أملأ عينَيَّ بصور قادمة من عالم الحرب العالمية الثالثة، ولا أدري ماذا تخبئ تلك الحرب لعينَيَّ، لكنها تبدو حربًا واعدة بمادة بصرية غنية. وفي عينَيَّ متسعٌ لبعض الدرونز والمروحيات على أي حال!

ذاكرة بصرية جديدة

ما زال صديقي النفساني ينصحني بالنوم مبكرًا، بتمارين الاسترخاء، بإغلاق الهاتف واللابتوب لساعات متواصلة كلما أمكن، ويذكِّرني: متابعة المحتوى الإخباري لمدة تزيد على الست ساعات يوميًّا خطر على الصحة النفسية والعقلية، والدراسات تقول إن 80 في المائة من الصحافيين في العالم عرضة للصدمة واضطرابات ما بعد الصدمة.

أعده أن أجتهد أكثر لحفظ عينَي من المادة البصرية المؤلمة، وأن أتخفف من التعرض للمحتوى الإخباري، لكنه يعرف أنني لن أفعل، ويعرف كلانا أن الزوارق والدرونز وطلقات الرصاص ودوي المدافع لن تتوقف، وأن أطباء الإغاثة والنازحين لن يكفُّوا قريبًا عن الترحال عبر عينَيَّ. على الأقل ليس قبل أن يجلس قادة العالم إلى مائدة المفاوضات ويتوصلوا لاتفاق يعيد كل تلك الألعاب الحربية العملاقة – بجنازيرها ومحركاتها وذخيرتها – إلى مخازنها، وقبل أن ينجح الساسة ورجال الأمن في تفكيك شبكات تهريب البشر إلى الأبد.. حينها فقط، ربما.. ربما تسكن الزوارق والمروحيات في عينَيَّ، وأنشغل بحياكة ذاكرة بصرية جديدة قوامها صور من الفضاء والمهرجانات وحكايات سانتا كلوز وهدايا أعياد الميلاد ■

رشا قنديل**

ربع قرن إلا قليلًا

عن الصحافة والحرب وأشياء أخرى*

تأخر هذا المقال طويلًا.. تأخر بقدر ما تعهدت لـ«الإنساني» أن يكون بين دفتَي المنشور الدوري، وبقدر ما تعهدت لنفسي ألا أكتب إلا لخاطر من أعمل لإيصال أصواتهم. تأخر اثنين وعشرين عامًا. عمر اعتناقي لمذهب الصحافة وأوجاعها، وأكثر من نصف عمري قليلًا.

غطيت عن كثب كل الحروب الإقليمية والدولية ذات الصلة منذ العام 2003 وحتى يومنا هذا. غطيتها كبيرها وصغيرها. حاورت كل الأطراف المعنية والمتناحرة حرفيًّا، في الاستوديو وعلى الأرض وفي الميدان. استمعت إلى كل السرديات وناقشتها، حللتها وراكمت النتائج والتعقيدات والخافي منها والعبر. أمضيت آلاف الساعات في البحث عن أصول الصراع وتشابكاته، عن أبعاد كل اقتتال، قبليًّا وعقائديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا. استمعت إلى الناس على الأرض في كل يوم وفي كل مناسبة، حاورتهم – فهم في النهاية أصحاب الأرض والرأي والحجة والمعاناة. هم من تطالهم الحرب وأوزارها حتى لو استفاد من فظائعها غيرهم. خصصت قسطًا معتبرًا من مساري المهني والأكاديمي في تتبع السلاح في الشرق الأوسط وخارجه، الرسمي منه والمتسلل في الأسواق السوداء، وفي دهاليز غسل الأموال والاتجار غير المشروع في البشر والآلة.

طيلة اثنين وعشرين عامًا، أصِلُ محلَّ عملي في الصباح الباكر لأستذكر لحوارات في المساء، العالم هذا المساء أو بلا قيود أو نقطة حوار أو النشرات الإخبارية. أحتسي القهوة بلا حساب ولا رادع.. أدقق.. أدقق كثيرًا.. كي أجابه غريمي الأول لاثنين وعشرين عامًا: الحرب. أكم من صرخات واستغاثات أرقتني ليلًا ونهارًا، في العراق وأفغانستان وفي دارفور وغزة وغيرها. استذكرت على عشرات الخرائط المتحولة كأنها الرمال المتحركة الحرب في سورية وفي اليمن وفي ليبيا. غطيت من المواقع مجريات الربيع العربي وما تبعه – في مصر – في تونس – في سورية في خضم الحرب – في أوروبا إلى حيث فر اللاجئون برًّا وبحرًا، وكأنني عاهدت الغارقين في القوارب الورقية أن أكمل رحلتهم وأُسائل المتسببين، كي لا تضيع أسماؤهم في البحر كالأسماك النافقة. جلس أمامي أفخم الساسة والمعارضين والقادة العسكريين وأبرز الحقوقيين والإغاثيين وأصحاب القرار. جلسوا أمامي بمناصبهم ومن دونها، بحججهم وبلاها. أسأل وأدقق وأتحدى وأستدرك وأحاجج. رصدت عمري الماضي والمقبل لو كتب لي الاستمرار تحت كل ما يهدد الصحافيين لتقصي الحقيقة. فلست أعرف للصحافي مهمة أخرى لربما أسهل أو أكثر راحة أو رفاهية أو رضا من أولي الأمر. هذه أمانة الصحافي والطريق الوحيد الذي أجدد العهد أن أسلك.

الحرب: الإنسان في مواجهة الآلة

منذ طفولتي كانت تشغلني جدًّا الحرب.. دوافعها.. أدواتها.. تكتيكاتها.. والأهم.. على رأس من تقع، ومن يدفع أثمانها الغالية.. بدايتي مع التفكر في شأن الحرب نشرات الأخبار، التي لم تكن تصمت في منزلنا.. ناغورنو قره باغ، حرب البوسنة، الانتفاضتان الفلسطينيتان والرد الإسرائيلي العسكري والأمني عليهما، حرب الخليج الأولى – ثم غزو الكويت وحرب الخليج الثانية – عاصفة الصحراء وصولًا للحظة التحاقي بالركب لحمل المشعل بعد أن كنت متتبعة نهمة ومهتمة حثيثة. في كل مرة كان سجال يرهق عقلي الصغير حتى إنني قبل ثلاثة أعوام كتبت عنه مقالًا.. ترى على بيت من سقط الصاروخ الأول في كل حرب؟ على رأس من؟ ماذا كان الأطفال فاعلين وكيف كانت حال البيت؟ في عرف الحروب التقليدية كثيرٌ من الحروب شُنت ليلًا.. وكأن قدر الضحايا أن تباغتهم الحرب بخسَّتها قبل صواريخها وطيرانها ومدرعاتها المصفحة.

تعددت الأسباب والذعر واحد

راقبت مرارًا النظرة التي تقف بين وقع الهول وضحيته. ذلك الذعر الذي عايشته على الأرض وفي كل مفردات عملي لتغطية الحروب والنزاعات، الذعر الذي تُفصِّله الخطب والملمات حتى قبل أن يكتمل وقعها. رأيتها مئات، بل لربما آلاف المرات، على الشاشة وعلى الأرض وفي الميدان تلك النظرة.. التي لا تفرق بين حرب أو إرهاب أو كارثة.. كلها أسباب للموت والتشرد والضياع. للهرب نزوحًا أو لجوءًا أو في عرض

•••

★ الآراء والتحليلات الواردة في هذا المقال لا تعبر ولا تعكس بالضرورة رأي اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

★★ صحافية مصرية تعمل مقدمة برامج في شبكة الإذاعة البريطانية «بي بي سي».

REUTERS

رجال الإنقاذ في موقع تفجير البرجين بنيويورك، في أيلول/ سبتمبر 2001

البحر. كلها بلا استثناء الوجه الآخر للنسخة الأسوأ للذكاء البشري أو غبائه لا يهم. إنها الحرب يا سادة. وجه الموت. شاهدت الهول يحدق في عيني بثبات، في عيني مريم – رضيعة سورية فقدت كل من لها قبل عمر الستة أشهر – حملت مريم وضممتها بالقرب من حلب. وقفت على الخط الفاصل بين سورية وتركيا إلى حيث فرت وعشرات آلاف آخرين. حاورت أطفالًا ويافعين عما جرى وعما يريدون أن يجري. سقطت قبل وصولي إلى أضنة قذيفة وقَفْتُ على فوهتها أراسل زملائي في لندن. غيَّر هؤلاء الأطفال حياتي، وجعلوا لشغفي بالحرب وقعًا وكتلة ونبضًا أحافظ على ثباته.

الميليشيات.. وأنا

لما قررت العودة للبحث الأكاديمي للحصول على درجة الماجستير من إحدى أرفع الجامعات البريطانية مكانة وأكثرها تخصصًا، لم يرد بذهني خيارات أخرى غير التخصص في دراسات الحرب النقدية. لا حبًّا في فنون الحرب بقدر شغفي بدراسة علومها بتعمق وبشكل علمي موضوعي لا تذروه الرياح كما طوت صرخاتٍ كُثرًا نددت بها في كل مضمار، اللهم إلا في الوجدان الشعبي وأروقة المحاكمات الدولية. سعيت لدمج القانون الدولي ودراسة الحرب فخرجت رسالتي المتواضعة عن الميليشيات ودورها في تغيير وجه الحرب في الشرق الأوسط، منذ تكوين طلائع «الجهاديين في أفغانستان» والعرب الأفغان. نزحوا من الشرق الأوسط وعادوا إليه.. عادوا أناسًا آخرين ونفوسًا أخرى. وليومنا هذا يدفع الجميع باهظ الأثمان. عنوان رسالتي التي حصلت بها على درجة الماجستير في العلاقات الدولية ودراسات الحرب النقدية هو: «الميليشيات – من؟ كيف؟ لماذا؟ كيف تغير وجه الحرب في الشرق الأوسط؟» – السالف نشرها على موقع «أكاديميا» لدراسة الأبحاث والرسائل العلمية.

ما هي الحرب إذن؟

رصدْتُ في الكتابة الأكاديمية ما أظن أنه فقر شديد في الإنتاج العلمي عن الحروب اللاتقليدية في الشرق الأوسط، وتركيز مكثف على الجماعات الجهادية الراديكالية، ربما لاهتمام الساسة والباحثين بها في ربع القرن الأخير.

منذ بداية عملي في الصحافة تغير تعريف الحرب وأدواتها تغيرًا ليس بالهين. فالواقعية الكلاسيكية في علوم السياسة الدولية عرفت في أحد مناهجها «العنف المقنن» باعتباره ذلك المُحتَكَر من قبل الدولة – أي الجهة الحاكمة ذات السيادة – سواء منفردة أو بإيكال هذا العنف إلى وكلاء وأدوات وأجهزة. الذي تغير باختصار هو انتفاء هذا التعريف بإيكال بعض اللاعبين خارج سلطة الدولة العنف لأنفسهم، ومنافسة الدولة في استخدامه إلى الدرجة التي قد يصبح أحد هؤلاء اللاعبين أو بعضهم أو حتى كلهم أقوى من الدولة إلى الحد الذي يحتكرون هم فيه العنف بدلًا عنها، فتنتفي سلطتها وفقًا لهذا المنهاج الكلاسيكي على الأقل.

الحروب الجديدة: أفغانستان كانت البداية

ما أتحدث عنه أعلاه هو تحديدًا ما حدث في أفغانستان إبان حرب المجاهدين والعرب الأفغان ضد الاتحاد السوفيتي، بمساعدة أميركية وبتصدير للجهاديين من ساسة مواطنهم إلى أفغانستان. زادت قوة المقاتلين الأفغان والتنظيمات الجهادية – طالبان والقاعدة طبعًا على رأسهم – إلى الحد الذي تغولت قدراتهم من امتلاك وسائل العنف إلى احتكاره، حتى انفردت طالبان بحكم الدولة حرفيًّا لتمكنها من أدوات العنف وتفوقها عسكريًّا على الأرض.

نموذج آخر يختلف جذريًّا تمثل في قدرات الجماعات الجهادية في مصر في التسعينيات وتحول استراتيجيتها من محاربة «العدو القريب» داخل دولها، في حرب امتدت من الخمسينيات حتى السبعينيات – إلى «العدو البعيد» المتمثل في عدو خارجي كان الاتحاد السوفيتي تارة ثم أصبح الولايات المتحدة والغرب تارة أخرى.

رصدت في خبرتي المهنية والبحث الأكاديمي في آنٍ معًا وبالتزامن ثلاثة أوجه سأُفَصِّلها من واقع الخبرة العملية لما أعنيه بـ «تغير وجه الحرب في الشرق الأوسط»: سلطة الدولة – علاقة الدولة بالعنف كأداة لفرض النظام – وانبثاق أنماط جديدة من الحرب استجابة للوسائل غير التقليدية والتكتيكات التي اعتمدتها الميليشيات والجماعات المسلحة الأخرى في حروبها في الشرق الأوسط.

الميليشيات تداولت أدوات العنف بين الدولة أو أجهزتها وبين نفسها كوكيل رُحب به إلى حين في حالة أفغانستان، ثم أصبح غير مرغوب في وجوده، ما أهَّل الحروب التقليدية في المنطقة للخروج عن هذا النمط لاستيلاد أنماط أخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر الحرب بالوكالة، التي نشهدها الآن على أكثر من صعيد: محلي، وإقليمي، ودولي.

11 أيلول/ سبتمبر: إشارة البدء للحرب ولعملي الصحافي

في البدء كان الحادي عشر من سبتمبر، أولى تجاربي المهنية في دراسة الميليشيات والجماعات المسلحة، متمثلة في تنظيم القاعدة. كنت في بداية

عملي كمذيعة للأخبار وقارئة للنشرة في الإذاعة المصرية العريقة – المدرسة الأولى. كان الخبر مقتضبًا ويبدو مشهدًا سينمائيًّا رديء الصنع، على الرغم من محاولة منفذي العمل إحداث الإبهار. أظن أنه سيبقى الأكثر مباغتة في وجدان المعاصرين، لا بفعل التوقيت فحسب وإنما للمفعول به الذي لم يكن أبدًا ليحسب ولا في أسوأ كوابيسه أن يتجرأ عليه تنظيمٌ على أحسن الفروض جيد الإعداد غزير التمويل ساهم هو ذاته في دعمه. قرأت الخبر الذي باغتنا في صيغة «في هذا النبأ العاجل» وأنهيته. ثم جاء دور زميلي وأحسب أنه كان العملاق الأستاذ محمود سلطان ليقرأ جوانب وردت للخبر ثم تحليلًا مبدئيًّا ثم خبرًا تلاه. كثفت تركيزي وتركت التفكر مليًّا لما بعد النشرة. خرجت في استراحة الإذاعة المصرية وقد كانت براحًا صاخبًا يتحدث فيه الجميع عما جرى ومن نفذه وكيف ستكون تبعاته. وجدت في المحادثة هوى فجلست أستمع وكنت حينها أصغر المذيعات سنًّا، فلزمت الصمت أستمع وأفكر وأتعلم بانتقائية. كل ما يجول بعقلي وأنا أكتب الآن أنْ من كان منا – معشر الصحافيين خاصة – ليتوقع كيف سيتغير وجه العالم بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، وأي تغيير..

الدولة واحتكار العنف

حينها وبعدها بحوالي عشرين عامًا، لما درست الحرب أكاديميًّا، فهمت أن العلاقة بين الدولة والمؤسسات البيروقراطية المخولة بتنظيم احتكار الدولة للعنف تمتد في علوم العلاقات الدولية إلى أصل تعريف الدولة في عدة مذاهب سياسية على رأسها الواقعية الكلاسيكية. الشرطة، الجيش، القوات الخاصة، المخابرات، وغيرها – كلها أجهزة تمكن الدولة من احتكار العنف بالوكالة المباشرة في المذهب الواقعي الكلاسيكي. من هذا المنطلق، يكمن تعريف السيادة في الواقعية في عدة عوامل من بينها حق الدولة وقدرتها في احتكار أدوات العنف من خلال مؤسسات محددة توكل لها الدولة هذه الأدوات. من هذا المنطلق، من البديهي لهذا المذهب أن يشكك في «سيادة الدولة» إذا ما فقدت بعض أو كل هذه الأدوات للاعبين آخرين غير مخولين من قبلها بوكالة ممارسة العنف المقنن.

«الحرب على الإرهاب»

وإذا كانت الجماعات المسلحة، من بينها ما يمكننا اصطلاحًا تعريفه بالميليشيات تزعزع سيادة الدولة من هذا المنطلق، فإن المرتزقة أو المقاتلين الأجانب «خصخصة العنف» المستجلبين من الخارج يهددون في بعض الأحيان وجودها المباشر. عملت على تغطية تبعات هذا الصراع بين المقاتلين الأجانب والمحليين والحكومة الأفغانية وتعاظم قدرات القاعدة، الذي تجلى في الهجوم على المصالح الأمريكية في كينيا وتنزانيا، ثم في هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر. في هذا السياق، تجلى كذلك مفهوم آخر وهو «الدولة المُعيلة»، أو الدولة الراعية لأنشطة جماعة أو حكومة ما لتمكينها من أدوات العنف والسيادة، ما تبلور فيما بعد في حروب الوكالة في المنطقة.

حاورت أيمن دين – الجهادي السابق الذي كانت مهمته تجنيد الجهاديين للقاعدة، والذي غيرت هجمات كينيا وتنزانيا مسار حياته – ذات المسار الذي اقتفيته بمساعدة زميل خبير بالجماعات الجهادية لأصِلَ إلى المسؤول السابق بالاستخبارات الأمريكية والبريطانية ريتشارد باريت المعني بمشروع إعادة تأهيل الجهاديين والعملاء المزدوجين السابقين من أمثال دين ليعملوا على إنهاء وجود الجهاد الراديكالي ورموزه. الحواران بُثا ضمن برنامج بلا قيود على شاشة بي بي سي باللغتين.

إيكال العنف

الآن كيف تتم عملية «إيكال العنف» من طرف ذي سيادة أو نفوذ لطرف آخر متمثل في أفراد أو جماعات أو أجهزة أو حتى دول؟ ما يحدث اختصارًا بشكل تطبيقي هو كهرم مدبب رأسه إلى الأعلى، ودعونا نؤشر للعنف بسهم يتجه للأسفل من رأس الهرم إلى قاعدته. ثلاث مراحل توضح هذه الصورة: أولًا– «مَركَزَة» العنف، أي احتكار الدولة للعنف من حيث المبدأ. ثانيًا– تراتبية العنف، أي تدرج السلطة والقدرة على التحكم في هذا العنف من رأس الدولة إلى سلطة الحكم بمؤسساته إلى الأجهزة الأصغر والأقل امتيازات وسلطة، وحتى الأفراد القائمين على تنفيذ محددات ممارسة العنف باستخدام أدوات محددة كالقانون، السلاح، التشكيلات المدربة، الموارد، إلى آخره.

وثالثًا– تحديد المسافة بين الحاكم والمحكوم في ضوء مدى التمكن من الاحتكار التام أو الجزئي لهذا العنف، ثم الانفراد بـ«إيكاله» إلى الكيانات المخولة بممارسته تحت سلطة الدولة سواء من داخل الدولة أو استجلابًا من الخارج. يقودنا هذا إلى تصنيف نظام الحكم في دولة ما – ضمن أدوات أخرى للقياس – من حيث مقدارُ مركزية القرار ومدى السيطرة عليه ليمتد خط بياني من أقصى التطرف السياسي لنقيضه، من السيطرة الكاملة (الأنظمة الاستبدادية أو الفاشية) إلى الدولة الفاشلة (فقدان الدولة كامل سيطرتها على العنف مبدأً وأدوات) وما بين النقيضين.

من المفيد بمكان أن نشير إلى أن هذه الآلية، تمكننا ضمن أدوات أخرى كصحافيين وباحثين من قياس معدل الالتزام بمبادئ الحكم الرشيد بشكل أو بآخر. فمثلًا كلما زادت سطوة القانون على الهرم من رأسه لأصول قاعدته، يمكن القول بشيء من التعميم غير المخل بالضرورة، إن احتكار العنف يسير وفق آلية الاكتتاب المجتمعي وأن الجميع أمام القانون سواسية، من ثم فإن احتكار السلطات للعنف ليس مطلقًا. بالتالي فإن صورة الديمقراطية كمبدأ وممارسة في هذه الدولة يسير على نحو محكم، والعكس صحيح.

كيف تعرف الميليشيا إذن؟

لفظة «ميليشيا» تبقى من أكثر التعريفات حساسية اصطلاحًا في الشرق الأوسط، وربما خارجه، لا لكونه لفظًا محملًا سياسيًّا بشكل قد لا يكون دومًا محمودًا، وإنما – وفق خبرتي في استخدام المصطلح في الحوارات والتغطيات الصحافية – لتبارز الأطراف المتناحرة أو المتنافسة على السيادة داخل دولة أو أخرى باستخدام نعت «الميليشيا» على كل من عداها، في محاولة للاستئثار بالأحقية في احتكار العنف كما سبق وأسلفنا، من ثم شرعنة وجودها وسيادتها. إجمالًا، يمكن اصطلاحًا إطلاق مصطلح الميليشيا على كل قوة مسلحة خارج سلطة الدولة – حتى وإن استعانت بها مرحليًّا، مثلها كمثل حركات التمرد، والجماعات أو القبائل، المسلحين المؤدلجين كالحركات الجهادية الراديكالية والفصائل المنشقة عن أجهزة شرطية أو عسكرية رسمية وغيرها. هذه الجماعات تعمل في نطاقات قد تتمايز بين المحلي والإقليمي وحتى الدولي كتنظيم القاعدة وتنظيم جماعة الدولة الإسلامية وغيرهما. إلا أن الميليشيا يمكنها دون غيرها أن تأتمر بأمر الدولة أو أن تؤدي بشكل متصل أو منفصل كأذرع عسكرية للدولة، ومن الممكن ضمها للواء الجيش أو قوات الأمن وغيرها ضمن محاولات الدولة تقنين أو شرعنة وجودها لغرض ما. من هنا يكمن الاعتقاد في أن الفارق بين الميليشيا وعصابات المافيا على سبيل المثال يتمثل في مشروع سياسي عادة يحرك الميليشيات أو موظِّفَها حتى لو انطوى الأمر على قدر من التربح، والمثال على ذلك المرتزقة الأجانب الذين يُستعان بهم مقابل المكافآت أو الأجر أو •••

كل ما يجول بعقلي وأنا أكتب الآن أنْ من كان منا - معشر الصحافيين خاصة - ليتوقع كيف سيتغير وجه العالم بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، وأي تغيير..

الامتيازات لتمكين طرف سياسي ما من السيادة.

الدولة والميليشيات ومفهوم السيادة

بشكل تفصيلي، تتراوح علاقة الدولة بالميليشيات والجماعات المسلحة ما بين 1. التعايش، 2. التواؤم، أو 3. المواجهة. هذه الأنماط من التفاعل قابلة للتغير وفقًا لتنامي قدرات الميليشيات من حيث العدد ودرجة التسلح والقدرات الكامنة والمهارات القتالية وتنامي أو تراجع الظهير الشعبي والتحالف من قوى داخلية أو خارجية إضافة للتمويل ووجود وكيل أو مُعيل سياسي أو تمويلي في الداخل أو الخارج. كنت شاهدة على الأنماط الثلاثة للتفاعل بين الدول والجماعات المسلحة. هذه المعاملات السالف ذكرها وغيرها تمثل تحديًا للدولة ومبدأ «التمكن» من السيطرة كليًّا أو جزئيًّا على أدوات العنف واحتكاره. منهاج دولة ما في التعامل مع القوى المسلحة كالميليشيات يعتمد في محدداته على مدى توافق مشروع الميليشيا مع أو ضمن مشروع الدولة وكذلك حجم الميليشيا وثقلها.

جدير بنظرة معمقة هنا أن نبحث في دور الظهير أو العائل الشعبي للميليشيات. قد تكون العلاقة طبيعية في حال انبثاق الميليشيا ذاتها من سياق قبلي أو عشائري أو مذهبي ما، وقد يكون التعايش إيجابيًّا كتقديم الحماية والملاذ والدعم أو حتى التمويل من الحاضنة المجتمعية للميليشيا، أو سلبيًّا بعدم التعرض لها أو الإرشاد عنها لأذرع الدولة أو لمؤسسات القانون والأمن.

AFP

التحدي الأبرز أمام الميليشيا فضلًا عن معاملات الأمان والمهارات القتالية وفنون الاختباء والمناورة، يكمن في التمويل والإمداد. لهذا السبب يتعين على الميليشيا أن ترسم بعناية استراتيجيتها المحلية لجمع، وتحويل والإبقاء على مصادر تمويلها وتسليحها، بل والقدرة على تسويق نفسها للممولين والقدرة على المناورة في تغييرهم وجذبهم تحت المتغيرات المختلفة – في علوم الدراسات الأمنية والعسكرية تُسمى هذه «نظرية تعبئة الموارد» – والتي لا تستثني البحث الدائم عن الدعم المحلي والحواضن الاجتماعية. تنظيم القاعدة كان النموذج الأكثر مهارة بهذا الصدد، استلهامًا من تنظيمات «العدو القريب» كتنظيمي الجهاد والتكفير والهجرة وغيرهما في الربع الأخير من القرن العشرين.

من يحتكر العنف يحكم

منذ التدخل الأمريكي في أفغانستان، واجه التعريف الكلاسيكي الواقعي للدولة باعتبارها المحتكر للعنف تحديًا كبيرًا. فلما تعاظمت قدرات المجاهدين لتتغول على الدولة في أفغانستان، بدا جليًّا أمران: 1. أن المسيطر على أدوات العنف يسيطر على صنع السياسة ومفهوم السيادة، و 2. أن الحروب بالوكالة قطعًا وسيلة أكثر أمانًا وأكثر فاعلية وأقل خسائر لمواجهة العدو (الاتحاد السوفيتي في هذه الحالة). حينها تحولت أفغانستان لدولة فاشلة بالمفهوم الكلاسيكي لأنها فقدت تمامًا مبدأ احتكار العنف وفقدت القدرة على إدارة أدواته – بل وتحولت تحت حكم طالبان إلى مدير ثانوي لمؤسسات العنف المقنن. حتى إن حركات مثل طالبان وتنظيم الدولة الإسلامية فيما بعد أدارت مفاصل في الدولة لا علاقة لها بالعنف، وإنما بالتمويل مثل آليات فرض الضرائب على الأفراد والأعمال، إنفاذ الشق العقابي من تأويلها للشريعة وغيرها من إجراءات بسط الهيمنة على الموارد وأدوات الترهيب «النظام» في الدول والأقاليم التي تولت زمام الحكم فيها. لكن الدليل الأهم على إمكانية تغير المعيل أو الموكل باستمرار، كان دخول الولايات المتحدة في حرب مع تنظيم الدولة الذي ضم كثيرين من أصدقاء الأمس من العرب والمجاهدين الأفغان لما تغيرت المصالح، وتغول الوكيل على الموكل. كنت شاهدة على ذلك مرتين، مرة إبان حكم طالبان لأفغانستان قبل الحرب الأمريكية 2001. وأخرى هذه الأيام مع عودة طالبان للمربع رقم واحد كاسحة معها المشروع الأمريكي الذي اجتث حكم الحركة قبل عشرين عامًا على أمل ألا تقوم له قائمة أخرى. السؤال الصحافي الذي سألته إبان حكم طالبان الثاني لمسؤولين أفغان كثر كان من بينهم الرئيس السابق حامد كرزاي قبل عدة أعوام، ومسؤولين عسكريين وأمنيين أمريكيين وبريطانيين متنفذين – هل انتهت إذن الحرب الأمريكية على «الإرهاب» بخسارتها؟ لم يعطني أحد إجابة شافية حتى الآن.

الحروب الجديدة

كنت شاهدة على الحروب التقليدية والجديدة في آنٍ معًا. من المنصف بمكان القول إن تيار الحروب غير التقليدية سواء عن بعد أو بالوكالة أو بالضربات المحدودة لأغراض الاحتواء أو التعامل أو رد الفعل جاءت بعد الغزو الأمريكي للعراق بسنوات. فتجربة الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان منذ 2001 كلفت إدارتَيّ بوش الأب والابن الكثير على مستوى النفوذ والشرعية الدولية وحتى على الصعيد الداخلي بسبب الخسائر البشرية المادية للحربين، والإخفاق في القضاء نهائيًّا على مسببات «الخطر» حتى لو بدا آنيًّا أنها انتفت وتم القضاء عليها، سواء في حالة طالبان 2001 أو نظام الرئيس الراحل صدام حسين 2003. الحروب الصغيرة ليست بصغيرة

اللافت أن تعريف الحروب غير التقليدية (الجديدة) من الناحية التقنية لا يستثني الحرب التي يمتلك أحد طرفيها جيشًا كاملًا أو قوات نظامية غير أجنبية، أو يستخدم الوسائل والتكتيكات الخاصة بالحرب التقليدية

AFP

اللافت أن تعريف الحروب غير التقليدية (الجديدة) من الناحية التقنية لا يستثني الحرب التي يمتلك أحد طرفيها جيشًا كاملًا أو قوات نظامية غير أجنبية، أو يستخدم الوسائل والتكتيكات الخاصة بالحرب التقليدية، فإذا ما كان أحد الخصمين يستخدم تقنيًّا قوات غير نظامية أو غير تقليدية التسليح مثلًا، أو حتى يستخدم تكتيكات حرب الشوارع أو العصابات، فيمكننا القول إنها «حرب صغيرة» أو حرب غير تقليدية اصطلاحًا، وهذا ما ذهب إليه كثير من الأكاديميين المعاصرين، حتى لو لم يكن نطاق هذه الحرب صغيرًا بالمفهومين الجغرافي أو التقني أو حتى الديمغرافي. من هذه الفرضية، يمكننا القول إن وجود الميليشيات والقوات غير النظامية والمرتزقة، كل على حدة في الحروب الأخيرة في الشرق الأوسط، لم يغير فقط تعريف الدولة والسيادة والعلاقة بين الدولة ومحيطها، بل علاقة الدولة والدول الموكلة بأدوات العنف ووسائله كذلك، إذ اضطرت لتغيير تكتيكاتها المعتادة في الحروب التقليدية للتمكن من مواجهة المقاتلين غير المنضوين تحت أجهزة ومؤسسات الدولة. من ثم ظهرت بعض الأنماط الجديدة للقتال كحروب الشوارع والحروب عن بعد والحروب بالوكالة مثالًا لا حصرًا، وبُعثت أخرى قديمة في فنون القتال والتخطيط كاستجلاب المرتزقة وتجنيد الميليشيات المحلية والضربات النوعية وغيرها.

انتهاء أقول هذه القراءة لا تتسع لكل حوار ولكل تقرير ولكل شهادة، لكنها مجرد اجتهاد في رصد تجربتي المهنية في دراسة الحرب والقوات غير النظامية، وكيف كنت شاهدًا صحافيًّا على تغير وجه الحرب في منطقتنا طيلة أكثر من عشرين عامًا ■

فريد بلوناس*

مواقع التواصل الاجتماعي تقود العمل الإنساني

AFP

حرائق الجزائر مثالًا

خلال العامين الماضيين، اندلعت حرائق غابات الجزائر التي تعد سابقة أولى في تاريخ البلاد، ومعها اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بصور دمار النيران، ما رفع حرارة التضامن الإنساني بين الجزائريين، قبل أن تتدخل الشعوب العربية على الخط عبر منشورات ووسوم معبرة عن تضامنها واستعدادها لتقديم المساعدات الإنسانية لأشقائهم المتضررين.

* صحافي جزائري.

مع كل أزمة تولد الهمة، ومع كل همة يُخمد لهيب الصدمة والحاجة، هي ملحمة التضامن التي عاشتها الجزائر بعد حرائق الغابات.

ملحمة تضامن

مع شيوع صور الدمار الذي حل بالجزائر، والمآسي التي عاشها سكان منطقة القبائل (الأكثر تضررًا)، أطلقت دعوات على وسائل التواصل الاجتماعي لإمداد المستشفيات ومراكز توفير الرعاية الصحية، بضمادات ومراهم لمعالجة الحروق، نظرًا للنقص الحاد في هذه المستلزمات، بالإضافة إلى المياه وتوفير أماكن لإيواء العائلات المتضررة.

الجزائريون من مختلف الولايات لبوا النداء وهبوا إلى مساعدة إخوانهم في منطقة القبائل، كل بما استطاع إليه سبيلًا. وانتشرت موجة من التضامن في أنحاء البلاد، تم تنظيمها بشكل أساسي من خلال شبكات التواصل الاجتماعي. وأطلقت المئات من نداءات التبرع، كل منها ينقلها العشرات من مستخدمي الإنترنت الذين يبثون مواقع نقاط التسليم وقوائم المنتجات الضرورية.

ونشرت الفنانة الجزائرية، نوميديا لزول، في قصة على منصة «إنستغرام»، فيديو تقدم فيه مساعدة لجمعية خيرية، وشاحنات تحمل خزانات مياه كبيرة، وأرسلتها إلى المناطق المحترقة للمساهمة في إطفاء الحرائق.

وكتب المعلق الرياضي، حفيظ دراجي: «فخور بالهبَّة الشعبية الوطنية لأبناء بلدي، الذين يقفون مع المتضررين من حرائق الغابات في منطقة القبائل. مصيبة تضرب وطنًا واحدًا، يواجهها شعب واحد كجسد واحد «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». معًا سنتجاوز المحنة، ونعيد اللحمة، لنبني ونغرس، ونقف من جديد بإذن اللّه».

وسائل التواصل الاجتماعي تقود المواجهة

وتوافق وصول عدد كبير من القوافل التي تحمل التبرعات وقدمت من مدن مختلفة في الجزائر، إلى شمال البلاد مليئة بالمستلزمات الضرورية والمعدات الطبية.

بالتزامن مع ذلك، تنشغل فئة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بنقل معلومات حول الموقف بصورة فورية، وتنبيه السكان إلى المناطق التي يجب تجنبها والتحذير من المعلومات المغلوطة.

ويقوم البعض أيضًا بتوجيه نداءات طلب المساعدة عبر مواقع التواصل الاجتماعي عند ملاحظة انقطاع التيار الكهربائي، أو تعذر الوصول إلى العديد من الأشخاص في المناطق المتضررة، بالإضافة إلى الإبلاغ عن اندلاع حرائق جديدة.

وأظهرت منصات التواصل الاجتماعي فيديوهات لشباب يتنقل إلى تيزي وزو وبجاية في الشاحنات والحافلات، وآخرون يتنقلون بالجرارات وصهاريج المياه، لمساعدة الأهالي ورجال الإطفاء على إخماد لهيب النيران التي التهمت الأخضر واليابس.

وقد خلفت الحرائق المهولة وغير المسبوقة التي اجتاحت 20 ولاية، مقتل أكثر من 90 شخصًا مدنيًّا وعسكريًّا، كما أتت على مئات الهكتارات من المحاصيل الزراعية والثروة الغابية، وأعلنت الحكومة الجزائرية إثرها حدادًا وطنيًّا.

التضامن يتجاوز الحدود الجغرافية

احتلَّت أخبار الحرائق الجزائرية منصات التواصل الاجتماعي في عدة بلدان عربية، وتداعى الناشطون من مختلف هذه البلدان للدعاء وتمني السلامة للشعب الجزائري، واحتل الخبر صدارة منصة تويتر في الجزائر وعدة بلدان عربية أخرى.

أفراد الجالية الجزائرية في الخارج أيضًا، لبوا النداء دون سابق إنذار وعرضوا تقديم المساعدة، وعبروا عن تضامنهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إذ أعلنت عدة جمعيات في فرنسا أنها جمعت تبرعات مالية تعدت قيمتها

مليون يورو في ظرف يومين، من أجل إرسالها إلى الجزائر.

كما توحدت الجاليات الجزائرية بمختلف دول العالم في وسم «صلوا_من_أجل_الجزائر» (prayforAlgeria)، أكدوا من خلاله ارتباطهم الروحي بوطنهم مهما كانت ظروفه، ودعوا من خلاله إلى تكثيف حملات التبرع لإرسالها إلى المناطق المتضررة.

ونشر المغني الجزائري «سولكينغ» على حسابه في «إنستغرام» مشاهد من الحرائق والأدخنة وهي تقترب بشدة من السكان وتهدد سلامتهم وحياتهم، وأرفقها بوسوم «تيزي وزو تحترق» و«صلّوا من أجل تيزي وزو» و«صلوا من أجل منطقة القبائل».

ولخّص اللاعب الدولي، رياض محرز، مشاعر التضامن في وسم «صلوا من أجل الجزائر».

وغرد أحد الجزائريين على تويتر «في منطقة إيل دو فرانس: يتم تنظيم حملة لجمع التبرعات في مسجد أرجونتوي: منتجات طبية وأي تبرعات أخرى قد تكون مفيدة (قوارير إرضاع الأطفال، ...إلخ) كما سيتم تنظيم رحلة جوية إلى الجزائر يوم الاثنين.

البيوت مفتوحة للجميع

ودون اتفاق مسبق، تجددت قيمة التضامن والتكاتف والتكافل الاجتماعي في الجزائر، وتوالت هبات تضامن من كل حدب وصوب، وعلى كل الأنواع، تقاطرت على المدن والقرى المتضررة.

وبينما كان سكان المناطق المتضررة والمتطوعون من مختلف الولايات ورجال الإطفاء يحاولون إخماد الحرائق، فر الشيوخ والنساء والأطفال إلى بيوت المتطوعين وفنادق وبيوت للشباب ومدن جامعية فُتحت خصيصًا لاستقبالهم، بعد احتراق منازلهم أو محاصرتها بالدخان.

مشاهد ومشاعر سمَّاها الجزائريون عبر منصات التواصل بـ«ملحمة التضامن» التي أطفأت لهيب صدمة الحرائق وحاجة الأهالي المتضررة التي خسرت قوتها، حتى إنها باتت منعزلة عن العالم الخارجي. ولم تكن لحملات التضامن مع المتضررين من حرائق الغابات عناوين أو طرق موحدة، إنما هب الجميع، كلٌّ على طريقته لتقديم يد المساعدة من معظم مناطق الجزائر، فكان ذلك السقف الموحد لملحمة التضامن.

الترويج للعمل الإنساني

وعن دور وسائل التواصل الاجتماعي في العمل الإنساني خلال أزمة الحرائق، يقول أستاذ الإعلام والاتصال بجامعة «الجزائر3» محمد لعلامة في حديثه لمجلة «الإنساني»، إن مساهمتها جاءت ملحوظة للغاية، وهي المساهمة التي تمثلت بالأساس في الترويج عبر حسابات شخصية وصفحات لمبادرات جمع التبرعات والمواد الغذائية والطبية والألبسة والأفرشة من أجل مساعدة ضحايا الحرائق.

وأضاف لعلامة، أن نشر صور وفيديوهات وتدوينات تدعم وتشيد بقوافل التضامن التي نظمت من مختلف ولايات الوطن نحو ولاية تيزي وزو التي تضررت بشكل كبير، ساهمت في تشجيع المواطنين على تقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين. بالمقابل، يرى آخرون أن مواقع التواصل الاجتماعي وإن كانت تؤدي دورًا مهمًّا في الترويج للمبادرات الإنسانية، لكنها لا تعوض دور المنظمات والجمعيات، لأن الأخيرة تملك الإمكانات والوسائل اللازمة والخبرة في إدارة الأزمات والقيام بالعمل الإنساني بشكل منظم ومستمر.

«من خيرك يعيش غيرك»

«من خيرك يعيش غيرك» هي واحدة من وسوم التضامن التلقائية الكثيرة، نموذج عن قيمة التكافل الاجتماعي بالجزائر التي اختارها وقررها شباب في مقتبل العمر.

الحملة أطلقها شباب متطوعون في شوارع الجزائر العاصمة لجمع التبرعات لصالح المتضررين من حرائق الغابات. مجموعة من الشباب تحدوا خطر كورونا ودرجات الحرارة القياسية التي وصلت إلى 47 درجة بالعاصمة، جمعوا بعضهم ونظموا أنفسهم في أفواج، وانتشروا في معظم شوارع العاصمة، حاملين لافتات مكتوبًا عليها: «جمع التبرعات لإخواننا المتضررين من الحرائق».

REUTERS

اليد في اليد

وعبر منصات التواصل انطلقت حملة تحت عنوان: «تحيا_الجزائر_اليد_في_اليد»، لتشق طريقها إلى الواقع، بحملات تضامن واسعة جاءت حتى من أقاصي الصحراء الجزائرية.

وعن أسباب انتشار العمل الإنساني عبر مواقع التواصل الاجتماعي خلال أزمة حرائق الغابات في 2021 يؤكد أستاذ علوم الإعلام والاتصال محمد لعلامة أن الأزمات تقوي الروابط الإنسانية، مضيفًا ، «الروابط زادت في حرائق 2021 على مواقع التواصل الاجتماعي، لأن بعض الأطراف حاولت التفرقة بين الجزائريين وضرب استقرار البلاد والنسيج الاجتماعي، من خلال النبش في الجانب العرقي والترويج للثنائية العنصرية قبائلي–عربي، وهذا باعتقادي ما دفع الجزائريين للمواجهة وإثبات وحدتهم وتماسكهم عبر هبات تضامن واسعة على مواقع التواصل الاجتماعي».

وكشفت وزارة الداخلية الجزائرية عن حجم المساعدات التي وصلت إلى متضرري ولاية تيزي وزو من 11 ولاية فقط، تجاوزت 150 طنًّا من المساعدات في ظرف قياسي.

أزمة حقيقية مرت بها الجزائر صيف 2021، حاصرها واحتواها الجزائريون بملاحم تضامن انطلقت من منصات التواصل الاجتماعي، ليتجند لها في الميدان آلاف الشباب من معظم المدن، وحتى من خارج البلاد مع الجالية بالمهجر، شارك بها رقيقُ الحال قبل الثري، وسقطت معها ألقاب النجوم ليتحول كل مشارك في حملات التضامن إلى نجم لا يقل عن نجوم الرياضة والفن الذين هبوا أيضًا لمساعدة أهالي المدن والقرى المتضررة من حرائق غابات الجزائر ■

التقنيات الرقمية سلاح ذو حدين

بين تسليح المعلومات وأنسنتها

تعد التقنيات الرقمية – كيف تُستخدم ومن يستخدمها ضد من – من بين الحقائق «الجديدة» التي تفرض تحديات على المنظمات الإنسانية، وفي القلب منها اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وخلال السنوات الماضية، أبدى العاملون في المجال الإنساني اهتمامًا ملموسًا بالتطورات التقنية عند تصميم الاستجابات الإنسانية في مختلف السياقات.*

يمكن للتحول الرقمي الكبير في عالمنا المعاصر، لا سيما وسائل التواصل الاجتماعي، أن تحسِّن حياة الأفراد والمجتمعات المتضررة من الحرب والعنف وتيسِّر جهود المنظمات الإنسانية التي تعمل على حماية هؤلاء ومساعدتهم. لكن وعلى النقيض، يمكن أن تتسبب هذه التقنيات في ظهور نقاط ضعف جديدة أو تُفاقِم نقاط ضعف موجودة. ويشار إلى هذه الظاهرة وآثارها السلبية أحيانًا باسم «المخاطر» على سبيل المثال، الهجمات السيبرانية التي تستهدف البنية التحتية التي لا غنى عنها لإنقاذ الأرواح، وأنظمة الاتصالات، واستغلال البيانات الشخصية، والمراقبة الرقمية، والتنميط الرقمي (profiling)، والاستخدام غير المسؤول للتقنيات الناشئة، والانتشار الضار للمعلومات على المنصات الرقمية، وما إلى ذلك.

وفي كانون الثاني/يناير الماضي، أعلنت اللجنة الدولية أنها كانت ضحية لـ «هجوم سيبرانيٍّ معقد»، استهدف اختراق الخوادم التي تستضيف البيانات الشخصية والسرية لأكثر من نصف مليون شخص يُوصفون بأنهم «ضعفاء للغاية». وجاءت البيانات من أكثر من 60 جمعية وطنية تابعة للصليب الأحمر والهلال الأحمر حول العالم. ولا يوجد ما يشير إلى أنه تم تسريب البيانات حتى الآن، ولكن اللجنة الدولية للصليب الأحمر اضطرت إلى إغلاق النظام الذي تستخدمه للم شمل العائلات التي شتتتها الحروب.

أحد الأنواع الرئيسية للمخاطر الرقمية التي تهتم بها اللجنة الدولية اليوم هو الاستخدام المتزايد للتقنيات الرقمية التي تزيد من انتشار المعلومات الضارة في الأماكن المتضررة من جراء الحرب والعنف. إذ يشكل انتشار الشائعات الضارة والمعلومات المغلوطة والمعلومات المضللة وخطاب الكراهية والدعاية الموجَّهة على الإنترنت تحديًا متزايدًا في البلدان التي تعمل فيها اللجنة الدولية.

ومع أن هذه الظواهر ليست جديدة، إلا أن استخدام التقنيات في نشرها يحدث أثرًا كبيرًا على النطاق والسرعة التي تصل بها هذه المعلومات إلى جماهير مستهدفة متعددة عبر الإنترنت، هذا فضلًا عن حجم تأثيرها عليهم. وهذا أمر يدعو للقلق لا سيما في السياقات التي تعاني من أزمات كالنزاعات المسلحة أو أشكال العنف الأخرى، إذ يمكن أن تؤثر المعلومات على الديناميات والسلوك في الميدان، بالإضافة إلى أنواع المخاطر ونقاط الضعف التي يتعين على المجتمعات المحلية والمستجيبين في العمل الإنساني المعنيين معالجتها.

ويشار أحيانًا إلى انتشار هذه الظواهر عبر الإنترنت باسم «تسليح المعلومات». ومع ذلك، ينطوي هذا المصطلح على إشكالية بالنسبة للجنة الدولية؛ لأن «المعلومات الضارة» لا تعتبر وسيلة للحرب من الناحية القانونية، كما أن المعلومات المغلوطة والمعلومات المضللة وخطاب الكراهية لا تعتبر أسلحة تنطبق عليها قواعد محددة من القانون الدولي الإنساني.

المعلومات المُسلَّحة والعواقب الإنسانية

تستخدم اللجنة الدولية مفاهيم **«المعلومات المغلوطة والمعلومات المضللة وخطاب الكراهية»** للإشارة إلى أبرز أنواع المعلومات **«المُسلَّحة»** كمصطلح عام يمكن أن يشمل، على سبيل المثال لا الحصر: المعلومات المغلوطة، والمعلومات المضللة، وخطاب الكراهية، بالإضافة إلى عمليات التأثير المعلوماتي، والمعلومات الملغومة والدعاية الموجَّهة. وهذه المعلومات يمكن أن تُتداول من خلال الوسائل الرقمية (عبر الإنترنت) وغير الرقمية (غير المتصلة بالإنترنت). ومع أن هذه الظواهر موجودة دائمًا، إلا أن مظاهرها على الإنترنت أفضت إلى مجموعة جديدة من التحديات والأضرار المحتملة.

أما اصطلاح «العواقب الإنسانية»، فيشير إلى موجات النزوح والموت والاختفاء وخسارة الممتلكات أو تدميرها وضياع مصادر الدخل، والأذى أو الضرر الجسدي والعقلي/النفسي والاجتماعي، والوصم وتشتت أفراد الأسرة، أو الحرمان من الحصول على الخدمات (التعليم، الصحة، المأوى، الغذاء).

ويمكن أن تشمل العواقب الإنسانية أيضًا ظهور أو تفاقم الاحتياجات إلى المساعدات الإنسانية، وهي الاحتياج إلى المأوى

والغذاء والمواد الأخرى والرعاية الطبية والدعم النفسي والنفسي–الاجتماعي، والدعم الاقتصادي والحصول على الخدمات والحصول على المعلومات المناسبة على المستوى المحلي وفي الوقت المناسب، والدعم والمشورة القانونيَّين والوصول إلى الإنترنت.

ويقدم «**الدليل العملي بشأن المعلومات المغلوطة والمضللة وخطاب الكراهية**» الذي وضعته اللجنة الدولية مرشدًا إلى معالجة بعض التحديات الرقمية التي تواجه العمل الإنساني في الميدان.

بالنسبة للجنة الدولية، فإن تداول المعلومات المغلوطة والمضللة وخطاب الكراهية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، أو عبر الإنترنت عموما، في البلدان المتضررة من النزاعات يتسبب في دق جرس الإنذار حول أضرار محتملة على السكان المدنيين.

ففي كثير من الأحيان، يشير ذلك إلى وجود خطر جديد أو متزايد على سلامة وأمن السكان المدنيين وموظفي ومتطوعي المنظمات الإنسانية. و«إمكانية» الإضرار هذه قد تتجسد في انتشار المعلومات الضارة التي قد تتفاقم مخاطرها بسبب الديناميات الاجتماعية والثقافية والتاريخية الكامنة، مثل عدم المساواة والتمييز، والحكم غير الرشيد، وافتقار الناس إلى التعليم أو الأمية الرقمية، أو النظم المعلوماتية المتدهورة/المتغيرة.

نماذج من استخدامات محتملة للمعلومات الـمُسلَّحة

● **المعلومات المغلوطة:** معلومات زائفة ينشرها عن غير قصد أفراد يعتقدون بصحتها أو لم يأخذوا الوقت الكافي للتحقق منها. ويمكن أن تنتشر المعلومات المغلوطة عبر الشائعات، أو عبر سلسلة من المنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي ونحو ذلك.

مثال: شخص يعمل في مجال العمل الإنساني يدفع مالًا لبائع متجول مقابل زجاجة مياه. يرى أحد المارة العامل يسلم المال للبائع لكنه لا يرى زجاجة الماء بيد العامل. ويعرف هذا الشخص المارُّ أيضًا أن هذا البائع المتجول معروف بأن له صلات بجماعة مسلحة موجودة في المنطقة ويبيع المخدرات نيابة عنها. يلتقط الشخص صورة للبائع والعامل في المجال الإنساني ويرسلها إلى أقرانه، فينتشر خبر بأن العاملين في مجال العمل الإنساني يتعاملون مع بائعي مخدرات مرتبطين بجماعة مسلحة.

● **العواقب الإنسانية:** يؤدي تدهور سمعة العاملين في مجال العمل الإنساني إلى تعرض بعضهم للمضايقات والاعتداء. ويُتهم بعضهم بدعم الجماعة المسلحة المشار إليها ويتلقون تهديدات أو يواجهون عقوبة السجن. في نهاية المطاف، يُطلب من المنظمة مغادرة البلاد وتتوقف جميع الخدمات الأساسية التي كانت تقدمها للمجتمع.

● **المعلومات المضللة:** معلومات كاذبة متعمدة تُلفَّق و/أو تنشَر بنوايا خبيثة. ويمكن أن تندرج تحتها مصطلحات مثل الدعاية الموجَّهة و«عمليات التأثير المعلوماتي».

مثال: جماعة مسلحة ترغب في الاستئثار بنقطة توزيع مياه معينة. تعثر الجماعة عبر الإنترنت على صور قديمة لأشخاص عانوا من تسمم بسبب المياه. فتُدخِل بعض تعديلات على هذه الصور ومن ثم تنشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي وتطبيقات المراسلة وتؤكد أن هذه الصور التقطت في الوقت الحاضر في محاولة لإيهام الناس بأن المياه من هذه النقطة بعينها مسمَّمة ويجب الابتعاد عنها.

العواقب الإنسانية: يترك أفراد المجتمع المحلي نقطة توزيع المياه، لكنهم يضطرون الآن إلى تقسيم المياه المتاحة من مصادر أخرى، بل قد ينشب قتال من أجلها أحيانًا. ويقرر البعض السفر مسافات أبعد من أجل الحصول على الماء، فيصبحون عرضة للهجمات والمضايقات على طول الطريق. كل هذا يؤدي إلى تفاقم التوترات داخل المجتمع، ويؤدي إلى مشاكل في النظافة والصحة، لا سيما بين الفئات الأكثر ضعفًا.

● **المعلومات الملغومة:** معلومات صحيحة ولكنها تُنشَر بقصد إحداث ضرر (على سبيل المثال، تشويه سمعة شخص ما أو محاولة تأجيج التوترات الاجتماعية الموجودة بالفعل).

مثال: بعد عشر سنوات من النزاع، تجري مفاوضات على وقف إطلاق النار بين طرفين في نزاع مسلح وبدء عملية سلام. تُنظَّم انتخابات وطنية، ولكن قبل جولة الإعادة مباشرة ينشر أحد الأطراف صورًا عنيفة على وسائل التواصل الاجتماعي لمقاتلين ومدنيين أصيبوا وقتلوا أثناء الحرب. الصور حقيقية، ولكن توقيت إصدارها اختير بغرض إحداث أقصى قدر من الضرر للطرف المعارض من خلال تهييج مشاعر الناس. تؤدي الصور إلى تفاقم التوترات الاجتماعية بين مؤيدي الجانبين.

● **العواقب الإنسانية:** تنتشر تهديدات بالعنف عبر الإنترنت، ما يدفع الكثيرين إلى التساؤل عما إذا كانت الانتخابات ستُجرى أم لا. تندلع أعمال عنف على الأرض، ما يؤدي إلى إلحاق ضرر بالممتلكات المدنية وتدميرها.

● **الشائعات:** معلومات تنتقل بسرعة من شخص إلى آخر، غالبًا من دون التحقق من صحتها.

ربما تكون نقطة انطلاق الشائعات معلومات مغلوطة أو معلومات مضللة. وما يميزها عن غيرها هو مدى انتشارها، ما يجعل من المستحيل تتبع مصدرها والتحقق منه من أجل تقييم المصداقية.

مثال: يعتقد أشخاص في مرفق احتجاز أن مياه الشرب التي تُقدَّم للنزلاء تحتوي على مهدئات. تُلقى هذه المعلومة على مسامع جميع الوافدين الجدد إلى مرفق الاحتجاز فور وصولهم، لكن لا أحد يعرف من أين صدرت المعلومة في المقام الأول.

العواقب الإنسانية: يحاول المحتجزون تقليل كمية المياه التي يشربونها، ما يسبب معاناة البعض من مشاكل صحية. ومع تزايد عدد المحتجزين الذين يودعون المستشفى، يبدأ آخرون في إثارة أعمال شغب، فينتقم موظفو السجن من المحتجزين بعنف شديد، ما يؤدي إلى وقوع عدد من الإصابات، بعضها خطير بل يهدد الأرواح.

أسلحة مستجدة تستلزم تطوير أساليب حماية مستجدة

تقعُ مهمة «حماية الأشخاص» المتضررين من النزاع المسلح وحالات العنف الأخرى – أي الاضطلاع بأنشطة لمصلحة الأشخاص المستحقين للحماية بموجب القانون الدولي الإنساني – في صميم مهمة اللجنة الدولية للصليب الأحمر. فقد تعيَّن على اللجنة الدولية طوال تاريخها أن تتأقلم مع الأنواع الجديدة من النزاعات وصور العنف، فضلًا عن الأسلحة ووسائل الحرب وأساليبها الجديدة، فكان عليها أن تعدِّل باستمرار أنشطتها وأساليبها حتى تستجيب للاحتياجات المتغيرة لمختلف فئات المتضررين من جراء عواقب الحرب والعنف. هذه الاستجابة المستمرة من قبل اللجنة الدولية، أدت على الدوام إلى ظهور أنشطة حمائية جديدة، تتناسب مع أشكال التسلح الجديدة فضلًا عن التفكير والعمل المستمرَّين على تطوير وتطبيق القانون الدولي الإنساني وسياسات العمل الإنساني وبرامج العمل الإنساني والمعايير العملياتية. ويبدو اليوم، ونحن نقف إزاء نوع مستجد من «التسلح المعلوماتي»، أنه على اللجنة الدولية أن تطور أدواتها وأساليب تدخلها لإنفاذ مهمتها التي تقع حماية الأشخاص المستحقين للحماية في قلبها ■

* عرض لـ «الدليل العملي بشأن المعلومات المغلوطة والمضللة وخطاب الكراهية» الذي وضعته اللجنة الدولية مرشدًا إلى معالجة بعض التحديات الرقمية التي تواجه العمل الإنساني في الميدان.

الدعاية الموجهة هي استخدام معلومات، غالبًا ما تكون غير دقيقة أو مضللة، للترويج لوجهة نظر معينة أو للتأثير على جمهور مستهدف. قد تحتوي الدعاية على بعض عناصر الحقيقة، لكنها غالبًا ما تعرضها بطريقة منحازة

المعلومات المضللة

هي معلومات كاذبة ملفقة أو تُنشر بنوايا خبيثة. و«الأخبار المزيفة» – تحديدًا – هو مصطلح شائع يشير إلى التضليل المتعمد أو الخدع المنتشرة على منصات التواصل الاجتماعي أو غيرها من المنافذ عبر الإنترنت. ولكن مصطلح «الأخبار المزيفة» واجه انتقادات لإخفاقه في إبراز الطرق العديدة التي يمكن من خلالها استخدام المعلومات كناقل للضرر.

المَزارع

يشير مصطلح «مزرعة»، في سياق المعلومات المغلوطة والمضللة وخطاب الكراهية إلى توظيف مجموعات كبيرة من العاملين (غالبًا بأجور منخفضة) للقيام بعمل معين عبر الإنترنت. على سبيل المثال، تطلب مزرعة النقرات (click farm) من العاملين النقر على روابط معينة أو إعلانات أو زر الإعجاب. قد يكون هذا النشاط بغرض زيادة الأرباح بطريقة الدفع عند النقر (pay–per–click). أما مزارع التهييج الرقمي (troll farms) فتطلب من العاملين نشر محتوى تحريضي أو استفزازي عمدًا بهدف إثارة نزاع أو اضطراب عبر الإنترنت.

خطاب الكراهية

هو جميع أشكال التعبير (النصوص والصور والملفات الصوتية) التي تنشر الكراهية والعنف أو تحرض عليهما أو تروجهما أو تبررهما على أساس إقصائي متعصِّب، وعادةً ما يكون هذا الخطاب موجَّهًا ضد سمات الهوية (الجنس، والدين، والعرق، والتوجه الجنسي، وما إلى ذلك). وعند مشاركة هذه الأشكال من التعبير أو تضخيمها من خلال الوسائل الرقمية، يمكن الإشارة إلى ذلك باسم خطاب الكراهية الرقمي.

عمليات التأثير المعلوماتي

وتشير إلى الاستخدام الاستراتيجي والمحسوب للمعلومات وأنظمة تبادل المعلومات بغرض التأثير في المجتمع أو إثارة الاضطرابات أو الانقسامات بين أفراده. ويمكن أن تتضمن عمليات التأثير المعلوماتي جمع المعلومات الاستخباراتية عن أهداف محددة أو حملات التضليل أو تجنيد مستخدمين مؤثرين عبر الإنترنت.

المعلومات الملغومة

معلومات صحيحة ولكنها تُنشَر بقصد إحداث ضرر (على سبيل المثال، تشويه سمعة شخص ما).

المعلومات المغلوطة

معلومات كاذبة ينشرها أفراد معتقدين بصحتها أو لم يأخذوا الوقت الكافي للتحقق منها.

وجهة نظر إنسانية

مفاهيم أساسية

التطرف والتجنيد عبر الإنترنت هو استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات أو المنافذ الإلكترونية الأخرى كأدوات دعاية دولية موجَّهة لنشر مفاهيم متطرفة

الدعاية الموجهة

استخدام معلومات، غالبًا ما تكون غير دقيقة أو مضللة، للترويج لوجهة نظر معينة أو للتأثير على جمهور مستهدف. قد تحتوي الدعاية على بعض عناصر الحقيقة، لكنها غالبًا ما تعرضها بطريقة منحازة. وعندما يتم تسهيل الدعاية عن طريق استخدام إعلانات رقمية أو خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي أو غيرها من الاستراتيجيات الاستغلالية، فإنها تُعرف باسم الدعاية الحاسوبية الموجَّهة.

الشائعات

معلومات تنتقل بسرعة من شخص إلى آخر، غالبًا من دون التحقق من صحتها.

ربما تكون نقطة انطلاق الشائعات معلومات مغلوطة أو معلومات مضللة. وما يميزها عن غيرها هو مدى انتشارها، ما يجعل من المستحيل تتبع مصدرها والتحقق منه من أجل تقييم المصداقية.

المعلومات المغلوطة والمضللة وخطاب الكراهية

مصطلح شامل لأي حالة تكتسب فيها المعلومات القدرة على تعريض السكان المعنيين (الأشخاص المتضررين من النزاع المسلح وكذلك العاملين في المجال الإنساني والمتطوعين) لخطر جديد أو متزايد له عواقب إنسانية. و«إمكانية» الإضرار هذه تتجسد من خلال انتشار المعلومات الضارة ويمكن أن تتفاقم بسبب الديناميات الاجتماعية والثقافية والتاريخية الكامنة، مثل التوترات الاجتماعية أو السياسية القائمة وافتقار الناس إلى المعرفة الرقمية أو التفكير الناقد عند تصفح المعلومات عبر الإنترنت والافتقار إلى مصادر موثوقة ودقيقة للمعلومات أو الاعتماد المفرط على مصادر تفتقر إلى المهنية، على سبيل المثال المواقع الإلكترونية الاستفزازية التي تتظاهر بأنها مواقع «إخبارية».

التطرف والتجنيد عبر الإنترنت

استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات أو المنافذ الإلكترونية الأخرى كأدوات دعاية دولية موجَّهة لنشر مفاهيم متطرفة. يشمل هذا الاستخدام استهداف وتجنيد مؤيدين محتملين لمواقف متطرفة من قضايا معينة، بل وتنسيق العمليات بين أفراد منتشرين في بقع جغرافية متنوعة.

خطف الوسم (الهاشتاغ)

هي عملية استخدام الوسم بطريقة مختلفة عما قصد به في الأصل، وعادةً ما يتم ذلك بواسطة طرف ثالث يتطلع إلى إبراز نفسه أمام الجمهور المستهدف أو تحريف مسار محادثة ما. على سبيل المثال، خلال كأس العالم عام 2014، كثيرًا ما حرَّف تنظيم الدولة الإسلامية الوسوم الشائعة (WC2014, France, Brazil2014)، وحوَّلها إلى تغريدات دعائية موجَّهة، من أجل تعزيز انتشار فكر تنظيم الدولة الإسلامية.

العواقب الإنسانية

يمكن أن تشير «العواقب الإنسانية» إلى موجات النزوح والموت والاختفاء وخسارة الممتلكات أو تدميرها وضياع مصادر الدخل، والأذى أو الضرر الجسدي والعقلي/النفسي والاجتماعي، والوصم وتشتت أفراد الأسرة، أو الحرمان من الحصول على الخدمات (التعليم، الصحة، المأوى، الغذاء).

ويمكن أن تتمثل العواقب الإنسانية أيضًا في ظهور أو تفاقم الاحتياجات القائمة إلى المساعدات الإنسانية، وهي الاحتياج إلى المأوى والغذاء والمواد الأخرى والرعاية الطبية والدعم النفسي والنفس – اجتماعي والدعم الاقتصادي والحصول على الخدمات والحصول على المعلومات المناسبة على المستوى المحلي وفي الوقت المناسب، والدعم والمشورة القانونيَّين والوصول إلى الإنترنت ■

في الحروب الرقمية

أنسنة الأرقام

إضفاء الطابع الإنساني على البيانات الصاخبة التي تحيط بنا من كل جانب هي مهمة حاسمة في الإعلام المعاصر. مفيد طبعًا معرفة أعداد ضحايا النزاعات المسلحة والمتضررين من تفشي الأوبئة، لكنها في النهاية مجرد إحصاء ربما يفتقر إلى المعنى، ويصير لا وزن لها ما لم تنقل للجمهور مشاعر إنسانية. الناس قد لا يحفظون الأرقام الضخمة، لكنهم يتذكرون غيرهم من الناس. يشير بعض علماء النفس إلى «التخدير النفسي» (Psychic Numbing)، قاصدين به تبلد مشاعر الناس وعدم اكتراثهم كلما زادت أرقام الضحايا. ترتفع الأعداد لكنها تخفق في إثارة المشاعر. وعلى النقيض، فمن شـأن أنسنة المعاناة، ووضع وجه بشري لها، أن تستحث الناس وتدفعهم للتضامن وفعل المزيد من أجل تخفيف المعاناة عن غيرهم.

فيونا تيري

العمل المتجرد بلا تحيزات: فوائد التزام الحياد في زمن الحرب

في هذا المقال توضح رئيسة مركز البحوث والخبرات في مجال العمليات باللجنة الدولية «فيونا تيري» ملابسات تحولها من التشكيك في جدوى الحياد إلى اليقين الصادق بالغرض والمنافع المتحققة من التمسك بهذا المبدأ في وقت الحرب، من واقع تجارب عاشتها بنفسها.

ICRC

لا يكاد يمر عقد من الزمان إلا ويوضع مبدأ الحياد في مرمى سهام النقد. وأنا أتفهم سبب ذلك، فلقد كنت أحد هؤلاء المهاجمين قبل عقدين، عندما كتبت ورقة مناقشة أعددتها لنقاش حول إزالة مبدأ الحياد من ميثاق «**منظمة أطباء بلا حدود**»، حيث كنت أعمل وقتذاك.

كنت من المؤيدين لذلك، وقلت إنه من غير الأخلاقي التزام الحياد أمام جرائم الحرب والإبادة الجماعية، لأن هذا يعني وضع الجلاد والضحية في خندق واحد. ودفعت بأن مبدأ الحياد يتماهى مع قانون البقاء للأقوى، واستشهدت بالاعتراضات الغاضبة لمسلمي البوسنة إبان فترة التسعينيات، حين قالوا: «ما نحتاج إليه هو الأسلحة لندافع عن أنفسنا ما النفع الذي تجديه مساعداتكم الغذائية والدوائية إذا كنا سنقتل على أي حال؟»، كما انتقدتُ التعارض بين جهود منظمة أطباء بلا حدود لوقف الفظائع التي تُرتكب عبر شجبها علنيًّا وبين الاشتراطات التي يمليها مبدأ الحياد بـ«عدم الخوض في مسائل جدلية ذات طابع سياسي أو أيديولوجي»، وقلت بأن المقياس الحقيقي للحياد هو قبول أطراف النزاع له، وهو أمر يصعب ضمانه. ولقد كنت محقة في هذه النقطة على الأقل؛ إذ يصعب فعلًا ضمان صحة التصورات عن الحياد، وما يزيد الأمر صعوبة الدور الذي تؤديه وسائل التواصل الاجتماعي في تأجيج نار العداوات - وغالبًا ما يكون ذلك قائمًا على معلومات مضللة - في عالم يزداد فيه الاستقطاب يومًا بعد يوم.

ولكنني كنت مخطئة بشأن ما خلا ذلك، وأدركت ذلك بعد بضع سنوات في أثناء عملي مع اللجنة الدولية في ميانمار ثم عندما أجريت دراسة داخلية استغرقت سنتين عن تحقيق اللجنة الدولية مبدأ الحياد في ممارساتها في السودان وأفغانستان. [1] وأدركت حينئذ أنني أسأت فهم وظيفة الحياد في العمل الإنساني على الرغم من أن الصيغة الشارحة للمبدأ أوردتها واضحة جلية. فاللجنة الدولية تمتنع عن تأييد أي طرف من الأطراف في الأعمال العدائية أو المشاركة في الخلافات، لسبب واضح هو أنها تسعى إلى «نيل ثقة الجميع». وهذا ليس موقفًا أخلاقيًّا وإنما حالة متأصلة في عملياتها تسعى من خلالها إلى تيسير الوصول إلى الناس المكروبين على جانبي خط المواجهة. فاللجنة الدولية تهدف من خلال حرصها على تصدير صورة المنظمة غير المتحيزة تجاه الخصوم إلى كسب ثقة هؤلاء الخصوم وقبولهم حتى يتيحوا للمنظمة العمل بشكل فعَّال وفي مناخ آمن على الأراضي التي يسيطرون عليها.

وتحرص اللجنة الدولية على تجنب منح الأطراف المتحاربة ذريعة لرفض عملها أو حظره أو إعاقته، وهو ما يجعلها تمعن النظر فيما يصدر عنها من ألفاظ وأفعال من شأنها التأثير على الصورة الذهنية المترسخة في الأذهان عن حياد المنظمة. ومع هذا فالأمر

•••

ICRC

يتوهم بعض من ينتقدون المنظمة أن التفويض الذي مُنحته بمد يد العون إلى ضحايا الحرب سبب كافٍ لكي تنجح في تحقيق هذا بصورة تلقائية ومن دون عناء. ولكن هذا ليس ما يحدث في الحقيقة

ليس هيِّنًا؛ فكثيرًا ما يُقابل طلبنا بالوصول إلى المحتاجين بالرفض. ولكننا إذا ما تخلينا عن الحياد، فإننا بذلك نحرم أنفسنا والعالم من رؤية لمحات إنسانية مضيئة وسط بحر لجيٍّ من الهمجية السائدة في الحروب. والعاملون في المجال الإنساني ليس بإمكانهم وقف الحرب، فزمام ذلك في يد القادة السياسيين فقط. ولكن بإمكانهم منع بعض تبعاتها المروِّعة أو على الأقل التخفيف من شدتها، ولكي نحقق ذلك، لا بد أن نحظى بثقة جميع الأطراف واحترامهم.

لذا أقول إن اتخاذ موقف محايد لا يعني إقرارًا بالمساواة أخلاقيًّا بين المعتدين وضحاياهم، وإنما يفتح السبل أمام مد يد العون إلى الضحايا، كما حدث في أثناء الإبادة الجماعية التي شهدتها رواندا. في تلك الأحداث، كان فريقا اللجنة الدولية ومنظمة أطباء بلا حدود يعملان معًا في مستشفى ميداني في كيغالي يحاولان إنقاذ الجرحى. كان رئيس فريق اللجنة الدولية حينئذ، «فيليب جايار»، يخرج كل يوم بسيارة إسعاف يطوف بها شوارع المدينة بحثًا عن أي شخص لا تزال أنفاسه تتردد في صدره لينقذه، وكان عليه تجاوز حواجز طرق يتمركز عندها أفراد ميليشيات متعطشون للقتل، قبل أن يعود أدراجه إلى المستشفى. وكان فيليب يترجل من سيارته عند كل حاجز تفتيش ويجالس القتلة محاولًا إقناعهم بأن يدَعوه يمر. كان ينجح أحيانًا. وكان يحرص دائمًا على كتم شعوره بالخوف والامتعاض ليحافظ على أرواح الذين يقلهم بسيارة الإسعاف، وكان يلتزم الأدب في حديثه مع القتلة.

يتوهم بعض من ينتقدون المنظمة أن التفويض الذي مُنحته بمد يد العون إلى ضحايا الحرب سبب كافٍ لكي تنجح في تحقيق هذا بصورة تلقائية ومن دون عناء. ولكن هذا ليس ما يحدث في الحقيقة. فكل محاولة لإنقاذ ضحايا حرب تتطلب موافقة السلطات التي تملك زمام الأمور على الأرض. ويجب أن يتحلى العاملون في المجال الإنساني بالقدرة على الإقناع والحزم والجرأة والقدرة على التعامل مع «من بيدهم مقاليد الأمور».

أُقرُّ بأن التزام الحياد أمر صعب، ربما أصعب من اختيار الانحياز إلى جانب ما. ولطالما أثيرت شكوك حول مجرد إمكانية قبول فكرة التزام الحياد، لا سيما بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2011 التي استهدفت الولايات المتحدة، وما تبعها من «حرب على الإرهاب». حينئذ خاطبت الولايات المتحدة العالم قائلة: «أنتم إما معنا أو مع الإرهابيين»، وهو المنطق الذي تأثرت بتوابعه فرقنا العاملة في الميدان تأثرًا شديدًا، إذ كانت تسعى إلى تقديم المساعدة إلى الأفغان على جانبي خطوط المواجهة، وتُجري زيارات لأفراد حركة طالبان الذين تأسرهم قوات التحالف وقوات الحكومة الأفغانية للتأكد من أنهم ينالون معاملة إنسانية. ثم جاءت فاجعة مقتل مهندس مياه تابع للجنة الدولية في آذار/ مارس 2003 لترتفع على إثرها الأصوات المشككة في جدوى التزام الحياد، ثم علت نبرة تلك الأصوات لتبلغ ذروتها عندما استُهدفت اللجنة الدولية في بغداد بهجومين بعد بضعة أشهر. ومع ذلك، وبعد تأملات ووقفات كثيرة مع النفس، لم ترضخ اللجنة الدولية لمن يوجهون إليها سهام النقد، ولم تتخلَّ عن سعيها نحو صياغة دور محايد لها مع جميع الأطراف. فلقد ظلت اللجنة الدولية معتصمة بنهجها في إبداء الاهتمام المنطلق من دوافع إنسانية بشؤون العالقين في جحيم النزاعات المسلحة، وحازت بفضل ذلك، إن لم يكن احترام الأطراف، قبولهم على مضض على الأقل بحقيقة أن وجود وسيط محايد في وقت الحرب له فوائده.

تستفيد جميع أطراف النزاع من موقف اللجنة الدولية الذي يتسم بالحياد؛ فهو ييسر عبور خطوط المواجهة لإيصال المساعدات الإنسانية التي لا غنى عنها لإنقاذ الأرواح. كما ييسر زيارة المحتجزين الواقعين في قبضة

مختلف الأطراف، وتسجيلهم ونقل الأخبار عن أوضاعهم إلى ذويهم. ويتيح كذلك للّجنة الدولية استخراج رفات الموتى حتى يتسنى إعادتهم إلى ذويهم ودفنهم بطريقة لائقة. ويكفل لها الاضطلاع بدور في عمليات الإفراج عن الأسرى أو الرهائن أو تبادلهم، ويفتح مجالًا لمناقشة الالتزام بالقوانين والمعايير الدولية بشأن النُّهج المتبعة في شن الحروب. وعلى عكس ما كنت أتصور في الماضي، الحياد لا يفرض على اللجنة الدولية التزام الصمت حيال انتهاكات القانون الدولي الإنساني، بل يهيئ حيزًا للنقاش مع المسؤولين مسؤولية مباشرة عن ارتكابها.

وهذه المناقشات تجريها اللجنة الدولية خلف أبواب مغلقة، بشكل ثنائي وفي إطار من السرية التامة. هناك، حيث تُعرض الادعاءات ويُخضَع الفاعل للمساءلة، وكون أن هذه التفاصيل لا تُنشر على منصات التواصل الاجتماعي لا يعني عدم حدوثها فعلًا. وأحيانًا يكون طلب التكتم نابعًا من الأطراف المتحاربة، وربما يكون الدافع من وراء ذلك حرص تلك الأطراف على ألا تظهر بمظهر من يرضخ للقانون. وهذه السرية التي نطوِّق بها جهودنا لا تعادل الرضا عن الأفعال التي تُرتكب، وهي ليست غير مشروطة. بيد أننا نعطي الأولوية لإجراء لقاءات مباشرة مع أولئك الذين يُصدرون الأوامر ونُجلسهم في كرسي المساءلة المباشرة. واللجنة الدولية تستعين بوسائل الإعلام الجماهيري في دعم عملها الثنائي، والتوعية بالقانون الدولي الإنساني، وشرح مبادئها. ونلجأ أحيانًا إلى شجب السلوك المشين الذي ترتكبه أطراف النزاع في وقت الحرب، غير أننا لا نفعل ذلك إلا بعد استنفاد جميع سبل الإقناع الأخرى وعندما يكون الشجب العلني في مصلحة الضحايا.

يواجه العاملون في المجال الإنساني مجموعة من المعضلات وهم يحاولون التخفيف من معاناة المحاصرين في مناطق النزاع المسلح، ويجدون أنفسهم أمام خيارات صعبة لدى سعيهم إلى تحقيق التوازن بين الفوائد التي تجلبها عمليات الإغاثة والأضرار المحتملة من جرَّائها. والتزام الحياد لا يحل أيًّا من هذه المعضلات. ولكنه يقدم خطًّا ناظمًا منطقيًّا ومتسقًا لجميع ما يبدر من اللجنة الدولية من أفعال وأقوال. والاتساق عنصر حيوي لبناء الثقة، فكيف لمنظمة أن تحوز الثقة إذا كانت مواقفها تتقلب تماهيًا مع ما تجري به رياح المزاج العام؟ والحياد ليس مقابلًا لـ«التضامن»، وإنما هو وسيلة يُتوسل بها لترجمة هذا الشعور النبيل إلى أفعال. لقد أقرَّت منظمة أطباء بلا حدود بهذه الحقيقة قبل 20 عامًا، وكنت حينها أقف في الجانب الخاسر في المناقشة، التي انتهت بأن «يظل مبدأ الحياد راسخًا في ميثاق المنظمة» ■

ICRC

عن الكاتبة

عملت «فيونا تيري» (Fiona Terry) لأكثر من عقدين في عمليات إنسانية في أماكن مختلفة من العالم منها شمال العراق والصومال ومنطقة البحيرات العظمى في أفريقيا وليبيريا والسودان وميانمار ونيبال وأفغانستان، حيث عملت بشكل أساسي لدى منظمة أطباء بلا حدود واللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وهي حاصلة على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية والعلوم السياسية من الجامعة الوطنية الأسترالية، وهي مؤلفة كتاب Condemned to Repeat? The Paradox of Humanitarian Action (طبعة جامعة كورنيل، 2002) ، الذي نال «جائزة غرومايز للأفكار الرامية إلى تحسين النظام العالمي» عام 2006. وهي ترأس الآن مركز البحوث والخبرات في مجال العمليات المستحدث مؤخرًا في اللجنة الدولية، وشاركت في قيادة الفريق الذي أجرى دراسة «جذور ضبط النفس في الحرب».

للاطلاع على الجزء الخاص بأفغانستان من الدراسة، انظر فيونا تيري (2001)، 'The ICRC in Afghanistan: Reasserting the Neutrality of Humanitarian Action'، المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد 93 (العدد 881): ص 173–188.
نُشر هذا الموضوع في الأصل بالإنجليزية في مدونة القانون والسياسات الإنسانية التي تصدرها اللجنة الدولية. وقد نقل عمرو علي النص إلى اللغة العربية.

رشا محمود عبد الفتاح*

أنا المترجم، أنا الخائن:

معضلة

غالبًا ما يُنظر إلى الترجمة على أنها صورة من صور «الخيانة» لاستحالة نقل نفس المعاني والرسائل من لغة إلى أخرى. إلا أننا إذا نظرنا إلى الترجمة على أنها وسيلة إلى تحقيق التفاهم والتواصل، سندرك قيمتها في مد الجسور بين البشر. وتلعب الترجمة في إطار الاستجابة الإنسانية دورًا حاسمًا في تحديد احتياجات السكان المتضررين.

لم يقتصر التنافس التاريخي بين إيطاليا وفرنسا على ساحات القتال، فإلى جانب الغزوات والمواجهات العسكرية، هناك تنافس ثقافي بين البلدين يعود إلى ما قبل عصر النهضة. فقد تنافس الفلاسفة والكتاب والفنانون والعلماء من الجانبين على موقع الصدارة في هذا العصر. وكانت الكوميديا الإلهية لدانتي أليغييري من أهم ما أُنتج في عصر النهضة وما زالت تُعتبر إحدى أعظم قصائد الأدب العالمي. إلا أن عمل المترجمين الفرنسيين على نقل القصيدة إلى لغتهم، أثار غضب الإيطاليين الذين زعموا أن الترجمات الفرنسية «خانت» القصيدة الأصلية، وفشلت في نقل جمالها المعجمي والصوتي.

كان هذا التنافس وراء المثل الإيطالي الشهير(traduttore, traditore) أي المترجم «خائن». وبصفتي مترجمة أعمل في مجال العمل الإنساني، واجهت كغيري من المترجمين العديد من التهم في أثناء حياتي المهنية منها طبعًا الخيانة. إذ يُنظر إلى الترجمة أحيانًا على أنها «كتابة متواضعة» أو «إعادة كتابة» للنص الأصلي، ويصل الأمر أحيانًا إلى تصوير الترجمة على أنها «اعتداء» على النص الأصلي – وهو ما رآه الإيطاليون في ترجمة دانتي. وربما يكون أبسط هذه التهم وأكثرها شيوعًا أن الترجمة «نقل حرفي» للنص من اللغة الأصلية، وأن النص حتمًا سيفقد جوهره وربما يكتسب أو يفقد فروقًا دقيقة وظلالًا عند نقله إلى لغة أخرى.

والترجمة في الواقع عمل توفيقي، ما قد يجعل البعض يراه «خيانة». فحتى أكثر المترجمين خبرة لا يمكنهم تجنب استحضار ثقافتهم ومعارفهم وخبراتهم وحتى صفاتهم الشخصية في عملية الترجمة. لكن من يخون المترجم؟ وماذا يخون؟ النص؟ المؤلف؟ القارئ؟ أم ثلاثتهم؟ فمن الناحية النظرية، لا يمكن لأي ترجمة أن تنقل الأبعاد كافة: المعنى والعاطفة والسياق التي ينطوي عليها النص الأصلي. ومع ذلك، فإن صعوبة مهمة الترجمة تكمن في تمكين قارئ اللغة الهدف (المترجم إليها) من «قراءة» النص الهدف بنفس عمق المعنى والعاطفة والسياق التي يشعر بها قارئ النص الأصلي.

ومن ثم، فقد نفسر المثل الإيطالي على أنه يشير إلى خيانة المترجم لكاتب النص الأصلي. ويحدث هذا حتمًا عندما يعمل المترجم بين لغات تنتمي إلى عائلات لغوية مختلفة (مثل الترجمة من اللغة العربية التي تنتمي إلى عائلة اللغات السامية، إلى اللغة الإنجليزية وهي لغة جرمانية، أو الفرنسية وهي لغة رومانسية). إذ لا تختلف هذه اللغات في بنيتها الدلالية والنحوية فحسب، وإنما تختلف أيضًا في أنظمتها الثقافية والسيميائية (علم العلامات ودلالات المعاني). فإذا التزم المترجم بحرفية الترجمة، بافتراض رغبته في أن يكون مخلصًا للمؤلف، فهذا غالبًا يُفقد اللغة الهدف السلاسة وإحكام الصياغة وحسنها. أما إذا فضل المترجم أن يوظف الآليات التواصلية أو الدلالية في الترجمة، فينقل رسالة مؤلف النص الأصلي بدلًا من نقل دقيق وحرفي لكلماته، فإنه يخاطر بأن يُتهم بالخيانة.

وبصرف النظر عن ثنائية «الخيانة» و«الإخلاص»، يجب أن يُنظر إلى الترجمة على أنها سبيل لتحقيق التفاهم والتواصل بين الثقافات. فعلى سبيل المثال، نرى في ترجمة الكلمة الإيطالية الدارجة (bravo) التي تعني شجاعًا، إلى اللغة الإنجليزية (well done!) التي تعني أحسنت عملًا! أو أحسنت في العربية، كيف أن المترجم لم يخن أحدًا في الواقع، وإنما تحرك بسلاسة بين الهياكل النحوية المختلفة في عدة لغات، بهدف «تطبيع» الرسالة التي يحملها النص المصدر (النص المترجم منه) لتصل إلى جمهور اللغة المترجم إليها. وهكذا، يكون إخلاص المترجم لمعنى ورسالة مؤلف النص المصدر لا لكلماته.

وتبرز أهمية الإخلاص للمعنى بالأخص عندما يتعلق الأمر بالترجمة في إطار الاستجابة الإنسانية. فالتواصل بين العاملين في المجال الإنساني والسكان المتضررين أمر حيوي لضمان تحديد الاحتياجات والاستجابة لها بفعالية.

وهنا يمارس المترجمون الإنسانيون دورًا حاسمًا في مد الجسور الثقافية، أو «التوطين» (يشير مصطلح التوطين غالبًا إلى تكييف السياق الثقافي) كما صاغه مُنظِّر الترجمة الأمريكي الشهير لورانس فينوتي (Lawrence Venuti). إذ يشير مصطلح «التوطين» إلى عملية استبدال بالثقافة المصدر والعناصر اللغوية المرتبطة بها ثقافيًا، الثقافة الهدف وعناصرها اللغوية، وبالتالي جعل النص المترجم أقرب إلى ثقافة اللغة الهدف.

ولكن لماذا يُعتبر «التوطين» استراتيجية الترجمة المفضلة في إطار الاستجابة الإنسانية؟ يعاني السكان المتضررون من العديد من مواطن الضعف على مستويات متعددة. ولكي تحقق الاستجابة الإنسانية أهدافها، يجب أن تحظى بـ«قبول» السكان المستهدفين. فالوعي بمواطن الضعف والقيود الثقافية والحساسيات هو السبيل إلى تحقيق القبول والثقة، وبالتالي وصول الاستجابة والمساعدات المختلفة لمن هم في أمس الحاجة إليها. وهكذا، يأتي دور المترجم – بصفته طرفًا أساسيًا في عملية التواصل – ليسد الثغرات وليضمن أن الرسائل المنقولة في

* رئيسة قسم الترجمة العربية في المركز الإقليمي للإعلام باللجنة الدولية للصليب الأحمر.

الترجمة في العمل الإنساني

إطار العمل الإنساني تأخذ في الاعتبار مواطن الضعف والحساسيات وتحترمها.

أعمل في الترجمة في اللجنة الدولية للصليب الأحمر منذ ما يقرب من عقد من الزمان، وقد اختبرت هذه الاستراتيجيات أثناء عملي وطورت دوري وأدواتي إلى ما هو أبعد من النقل الحرفي للنصوص من لغة إلى لغة أخرى. فالعمل في منطقة متخمة بالنزاعات، جعل عملي – وعمل فريق المترجمين في منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط – تحديًا يوميًّا، يجعلنا نجاهد أحيانًا مع كلمات وعبارات تبدو بسيطة، لكنها قد تحمل مخاطر جسيمة على تصور وقبول اللجنة الدولية في مناطق عملنا.

علاوة على ذلك، فإن الترجمة إلى العربية – وهي لغة تُصنف باستمرار باعتبارها واحدة من أصعب اللغات في التعلم والتوطين – تضيف المزيد من التحديات. وبالتالي، فإن الترجمة من الإنجليزية إلى العربية تنطوي على ديناميات عديدة وتتطلب قرارات لا نهاية لها من جانب المترجم. فاللغة العربية لغة سامية، لها سمة مميزة وهي اعتمادها بدرجة كبيرة على الاشتقاق، ما يمنحها مخزونًا لفظيًّا هائلًا يقدر بأكثر من 12 مليون كلمة. وعندما تقارن ذلك المخزون بكم المفردات في اللغة الإنجليزية، التي تضم نحو مليون كلمة، يمكنك تصور وفرة خيارات المفردات في اللغة العربية، ما يزيد من صعوبة اضطلاع المترجمين بالاختيار الصحيح لظلال المعاني المقصودة.

فمثلًا، يمكن ترجمة كلمة إنجليزية بسيطة مثل (said) في بيان صحافي أو تصريح أو حتى قصة منشورة على شبكة الإنترنت إلى: قَال، تَكَلَّم، ادَّعَى، أَلْقَى، تَحَدَّث، تَفَوَّه بـ، تَلَا، لَفَظ، نَطَق، نَبَس بـ، إلخ. ولترجمة كلمة (condemn) في بيان صحافي حول استهداف المدنيين، يجب أن يكون المترجم على دراية بالسياسة والاستراتيجية الإعلامية ذات الصلة قبل اتخاذ قرار باختيار إما يَشْجُب أو يُدين أو يسْتَنْكِر أو يُنَدِّد بـ. إن ظلال المعاني التي تحملها هذه المترادفات القريبة في اللغة العربية، تحدد موقف المنظمة التي تصدر البيان، إذ يمكن أن يضع أحد الخيارات المعجمية حياد المنظمة على المحك، فيبدو البيان الصحافي متحيزًا تجاه أو ضد طرف معين.

ويبرز تحدٍّ آخر عند الترجمة إلى اللغة العربية وهو اختلاف اللهجات. فلكل منطقة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مجموعتها الخاصة من اللهجات، إلى الحد الذي قد يتعذر فيه على سكان منطقة ما فهم لهجة منطقة أخرى. لهذا، يحدد المترجم جمهوره المستهدف واللغة التي يجب استخدامها وفقًا للسياق الذي يستهدفه، ثم يتخذ قرارات بشأن التفاصيل الدقيقة والمفردات المحلية. فمثلاً، كلمة (jerrycan) والتي تشير إلى أحد المستلزمات التي تستخدم بشكل متكرر في التواصل بشأن الأنشطة والمساعدات الإنسانية والاستجابة، عند ترجمتها إلى اللغة العربية في نصوص تستهدف الجمهور اليمني تترجم إلى دبة ماء، في حين لن يكون هذا الخيار نفسه مطروحًا عند الترجمة خارج سياق اليمن. فعند إصدار مواد إعلامية عالمية أو إقليمية، يفضل المترجم اختيارًا يفهمه جميع الجمهور الناطق باللغة العربية تقريبًا في المنطقة، فيترجم كلمة (jerrycan) إلى صفيحة مياه.

هناك تحدٍّ آخر يتعلق بالتوجهات المؤسسية إزاء بعض القضايا الحساسة، التي تتطلب قرارات حاسمة من جانب المترجم. النزوح، وهو مجال رئيسي من مجالات العمل الإنساني، أحد الأمثلة على كيفية «إدراك» المنظمات الإنسانية المختلفة لبعض المفاهيم والقضايا. فبينما تقوم هيئات الأمم المتحدة، ولا سيما المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بترجمة (IDPs) (Internally displaced persons) إلى المشردين داخليًّا، اختارت اللجنة الدولية ترجمة كلمة (displaced) إلى النازحين، ما يضفي على النازح صفة الإرادة في اللغة العربية فيظهر كطرف فاعل باستخدام اسم الفاعل بدلًا من استخدام اسم المفعول الذي يسلبه تلك الإرادة. أما مصطلح (mental health) فيترجم إلى الصحة النفسية في اللجنة الدولية بدلًا من الصحة العقلية لتجنب الدلالة السلبية والوصم المصاحبين للأمراض العقلية في بعض الثقافات. وبالمثل، فإن مترجم اللجنة الدولية يترجم كلمة (detainee) إلى محتجز باستثناء سياقات محددة للغاية يُفضل فيها ترجمتها إلى معتقل. هذه القرارات الواعية التي يتخذها المترجمون الإنسانيون ليست دليلًا على خيانتهم؛ إنها – على العكس من ذلك – جزء من التزامهم بمهمة المنظمة وإخلاصهم لها ولما تعليه من مبادئ الحياد والإنسانية والعالمية.

إذن، فإن الترجمة كونها جزءًا من الاستجابة الإنسانية هي في الأساس عمل تواصلي ووساطة ثقافية. فبهدف مد الجسور وبناء الثقة، يعتبر المترجمون حلفاء للجهات الفاعلة الإنسانية التي تستجيب لاحتياجات السكان المتضررين. وسواء كان مخلصًا للنص أو المؤلف أو القارئ أم لا، يظل المترجم الإنساني مخلصًا لمهمته؛ ألا وهي ضمان التواصل الفعَّال الذي يخفف المعاناة وينقذ الأرواح. وبناءً على تجربتي الشخصية والمهنية، ليس لديَّ شك – في سياق اليوم – أن الإيطاليين ربما أعادوا النظر في مثلهم (traduttore, traditore) «المترجم، الخائن» ■

الرسم للفنان السوداني حسن موسى

لوحات: أناستازيا إلسيفا*

أداة متأصلة في الأعراف الموروثة والقانون الدولي الإنساني

القيم الأفريقية في الحرب

* أناستازيا إلسيفا (Anastasya Eliseeva) فنانة معاصرة. تحاول في أعمالها الفنية وضع لمسات إبداعية بهدف حفز الناس على التغيير.

يُحظر النهب. مهاجمة الممتلكات وسلبها ونهبها انتهاك للكرامة.

اعتبر شعب تالينسي أن مهاجمة ممتلكات المدنيين وسلبها ونهبها انتهاكٌ لكرامتهم وعملٌ مشين يجب تجنبه. التالينسي، غانا.

تضمنت القواعد الموروثة التي تنظم سلوك مجموعة الكاماجور في الحرب حظر نهب القرى. سيراليون

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يُحظر النهب». اتفاقية جنيف الرابعة، المادة 33(2)، والبروتوكول الإضافي الثاني، المادة 4(2)(ن)، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة 52.

يحظى النساء والأطفال وكبار السن وذوو الإعاقة بالحماية. مهاجمة النساء والأطفال وكبار السن عارٌ على المحاربين.

يُحظر المساس بأفراد العدو الضعفاء والمستضعفين كالنساء والأطفال وكبار السن. لم يهاجم رجال قبائل النوير في الصومال النساء أو الأطفال أو كبار السن عند شن الهجوم. وفي جنوب السودان اعتقدت قبيلة الفولاني أن مهاجمة النساء والأطفال وكبار السن من شأنه أن يجلب العار على القبيلة. منطقة الساحل.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يحق للمرأة والأطفال وكبار السن والأشخاص ذوي الإعاقة المتضررين من جراء النزاع المسلح أن يحظوا باحترام خاص وحماية خاصة». يتجلى ذلك بوجه خاص في: اتفاقية جنيف الرابعة، المادتان 16(1) و27(2)، والبروتوكول الإضافي الأول، المادتان 76(1) و77(1)، والبروتوكول الإضافي الثاني، المادة 4(3)، وقواعد القانون الدولي الإنساني العرفي 134 و135 و138.

يجب توجيه إنذار مسبق فعلي للمدنيين قبل الهجمات. كان المتحاربون يرسلون إشارات بدق الطبول مثلًا، إنذارًا ببدء المعارك القادمة.

عندما كان الأشانتي يخوضون معركة، كانوا يدقون الطبول الملكية إشارةً إلى المعركة الوشيكة واستدعاءً للمحاربين في الوقت الذي تعني هذه الإشارة أيضًا تحذيرًا للمدنيين من الخطر القادم. الأشانتي، غانا.

وفي منطقة أورون في نيجيريا، عندما قررت بلدة خوض حرب ضد بلدة أخرى، أُرسل رجلان لوضع ورق نبات «لسان الحمل» على الطريق المؤدي إلى البلدة، ما يشير إلى إعلان الحرب رسميًّا وتحذير المدنيين من الأعمال العدائية الوشيكة. نيجيريا.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يُوجِّه كل طرف في النزاع إنذارًا مسبقًا ومجديًا في حالة الهجمات التي قد تمسُّ السكان المدنيين، ما لم تَحُل الظروف دون ذلك». البروتوكول الإضافي الأول، المادة 57(2)(ج)، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة 20.

يجب أن تميز أطراف النزاع في جميع الأوقات بين المدنيين والمقاتلين. كان المحاربون يرتدون شارات ذراع مميزة.

كان محاربو الماساي يرتدون شارات ذراع مميّزة لتمييز أنفسهم عن السكان المدنيين. الماساي، كينيا.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يلتزم المقاتلون، إزكاء لحماية المدنيين ضد آثار الأعمال العدائية، أن يميزوا أنفسهم عن السكان المدنيين أثناء اشتباكهم في هجوم

يجب أن تميز أطراف النزاع في جميع الأوقات بين المدنيين والمقاتلين. كان المحاربون يرتدون شارات ذراع مميزة.

كان محاربو الماساي بكينيا يرتدون شارات ذراع مميّزة لتمييز أنفسهم عن السكان المدنيين

لم تدخل القبائل بالسنغال وتوغو وغانا في قتال إلا خارج القرى، حمايةً للنساء والأطفال وكبار السن، أو كانوا يُنقلون إلى منطقة آمنة في أثناء القتال

أو في عملية عسكرية تجهز للهجوم». البروتوكول الإضافي الأول، المادة 44(3) (الجملة الأولى)، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة 106 (الجملة الأولى).

الأعيان التي لا غنى عنها مشمولة بالحماية. قد يحفر رجل واحد بئرًا، لكنه لا يستخدمها وحده.

تدمير المراعي التي ترعي فيها الماشية أو تسميم الآبار اللازمة للبقاء على قيد الحياة عملان مستهجنان بشدة. الصومال.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يُحظر استخدام السم أو الأسلحة السامة». «يُحظر مهاجمة أو تدمير أو نقل أو تعطيل الأعيان والمواد التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين». البروتوكول الأول، المادة 54(2)، والبروتوكول الإضافي الثاني، المادة 14، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدتان 72 و54.

الممتلكات الثقافية مشمولة بالحماية. يُحظر على المحاربين تدنيس مستقر أسلافهم أو أضرحة القديسين.

كان من المحظور على محاربي الفولاني حظرًا قاطعًا تدنيس الأماكن المقدسة مثل قبور الزعماء والأسلاف، والمساجد، والمباني المقامة فوق قبور الأفراد الذين يعتبرونهم قديسين. قبيلة الفولاني.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «تُعامل جثث الموتى بطريقة تتسم بالاحترام، وتُحترم قبورهم وتُصان بشكل ملائم».

«يحمي كل طرف في النزاع المؤسسات المخصصة لأغراض دينية أو خيرية أو تربوية أو فنية أو علمية، والآثار التاريخية والأعمال الفنية والعلمية». اتفاقية جنيف الأولى المادة 17، اتفاقية جنيف الثالثة المادة 120، واتفاقية جنيف الرابعة المادة 130، والبروتوكول الإضافي الأول المادتان 34 و53، والبروتوكول الإضافي الثاني المادة 16، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القواعد 38 و40 و115، وذلك من بين مواد أخرى.

يجب احترام جثث الموتى وحمايتها. يجب ألا تنتهك جثث قتلى الأعداء أو تُفتَّش.

يُحظر حظرًا قاطعًا انتهاك جثث قتلى العدو أو سلب ممتلكاتهم لتحقيق مكاسب شخصية. الصومال.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يتخذ كل طرف في النزاع كل الإجراءات الممكنة لمنع سلب الموتى». «ويُحظر تشويه جثث الموتى». وبوجه خاص: اتفاقية جنيف الأولى، المادة 15(1)، واتفاقية جنيف الثانية، المادة 18(1)، واتفاقية جنيف الرابعة، المادة 16(2)، والبروتوكول الإضافي الأول، المادة 34(1)، والبروتوكول الإضافي الثاني، المادة 8، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة 113.

يُحظر الاعتداء على المفاوضين. يحظى الرسل، والمحاربون الذين كفوا عن القتال، بالحماية من الهجوم عبر استخدام طلاء الوجه أو حمل هراوات أو عشب.

جعلت القبائل في منطقة الساحل الرسل يحملون شارة مميِّزة مثل عصا رسمية أو دهان وجوههم، حتى يكونوا معفيِّين من القتال ومشمولين بالحماية من الهجمات. منطقة الساحل.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يتمتع المفاوضون* بحق عدم الاعتداء على سلامتهم». «يفقد المفاوضون حقهم في عدم الاعتداء على سلامتهم إذا استغلوا وضعهم المتميِّز لارتكاب عمل مخالف للقانون الدولي». «تُحظر إساءة استخدام راية الهدنة البيضاء». القانون الدولي الإنساني العرفي، القواعد 58 و66 و67 و69.

* المفاوض: هو الشخص الذي ينتمي إلى أحد أطراف النزاع ومصرَّح له بإجراء اتصالات مع طرف آخر في النزاع.

لا يجوز مهاجمة المناطق المخصصة لإيواء الجرحى والمرضى والمدنيين حماية لهم من آثار الأعمال العدائية. القتال بين القبائل يدور خارج القرى.

لم تدخل القبائل بالسنغال وتوغو وغانا في قتال إلا خارج القرى، حمايةً للنساء والأطفال وكبار السن، أو كانوا يُنقلون إلى منطقة آمنة في أثناء القتال. السنغال وتوغو وغانا.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يجوز لأطراف النزاع المسلح إنشاء مناطق استشفاء وأمان تكون محايدة لإيواء الجرحى والمرضى والمدنيين من آثار الأعمال العدائية». «يُحظر توجيه الهجوم إلى منطقة منشأة لإيواء الجرحى والمرضى والمدنيين ووقايتهم من آثار الأعمال العدائية». اتفاقية جنيف الأولى، المادة 23، واتفاقية جنيف الرابعة، المادتان 14 و15، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة 35.

يجب أن تكون الهجمات متناسبة. أفعال الحرب المفرطة القسوة والوحشية تستنزل العقاب الإلهي.

إن أي عمل حربي يتسم بالإفراط والوحشية من شأنه أن يستنزل عقابًا إلهيًّا على الفاعل ونسله. الصومال.

قواعد القانون الدولي الإنساني: «يُحظر الهجوم الذي قد يُتوقع منه أن يُسبب بصورة عارضة خسائر في أرواح المدنيين أو إصابات بينهم، أو أضرارًا بالأعيان المدنية، أو مجموعة من هذه الخسائر والأضرار، ويكون مفرطًا في تجاوز ما يُنتظر أن يُسفر عنه من ميزة عسكرية ملموسة ومباشرة». البروتوكول الإضافي الأول، المادة 51(5)(ب)، والقانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة 14 ■

صفا ناصر*

لازمتني هواية جمع قصاصات الصحف والمجلات لسنوات، والنتيجة، أكوام من القصاصات تملأ الأدراج في منزلنا القديم. كان من بين ما جمعته قصة قصيرة نُشرت في إحدى الصحف التي تصدر من لندن، يلفتك السؤال في عنوانها، تشعر أنه يتوجب عليك التفكير في إجابة: «لماذا لا نذهب إلى البحر كثيرًا؟». تروي القصة حكاية أربعة أشقاء، من دون أن تشير إلى مكان الأحداث، لكن وقياسًا على المصير المؤلم الذي آلت إليه حياة كل واحد منهم. يمكنك أن تخلص إلى أن الإخوة هم رمز الشباب العربي البائس، ضحية مجتمعات أنهكها الفقر، والظلم، والحروب. تشدك قوة التصوير في القصة، والمشاهد المتداخلة بين الماضي والحاضر، التي تنتقل في لقطات سريعة خاطفة لتربط بين أحداث الواقع وذكرى رحلة إلى البحر جمعتهم حين كانوا صغارًا. أنهي القراءة، أشعر أنني شاهدت فيلمًا سينمائيًّا متكاملًا. أتمعَّن في اسم الكاتبة، بثينة الناصري، وفي التعريف عنها قيل إنها كاتبة عراقية تقيم في القاهرة. كمْ كانت تبدو القاهرة بعيدة آنذاك. فكَّرت، تفصلني عنها آلاف الأميال، ولا أظنني سأزورها يومًا، فأنا لم أغادر مدينتي من قبل، لكن، وبعد خمسة عشر عامًا من ذلك اليوم، قادتني جملة من المصادفات إلى المدينة التي كانت تتراءى لي بعيدة، وهناك، التقيتُ بثينة الناصري.

للفيس بوك وجهٌ آخر

لطالما كنت بعيدة عن شبكات التواصل الاجتماعي، وحضوري في عالمها في حدوده الدنيا، كمن يؤدي واجبًا ثقيلًا فرضته قوانين العالم الجديد، الذي صار يطلب منك إبراز حساباتك على شبكات التواصل لتأكيد هويتك. لكن الفيس بوك ليس سيئًا كله، فقد عرض أمامي ذات يوم، صفحة تحمل اسمًا حفظته جيدًا على مدار سنوات، بثينة الناصري، رأيتها تطل عليَّ من صورتها بشعرها القصير، وعينيها الخضراوين، ووجهها ذي الابتسامة الرائقة. ليس من عادتي أن أسعى إلى لقاء كُتَّابي المفضلين، أشعر أنني قد التقيت بهم بالفعل في قصصهم وقصائدهم، لقاء روحيًّا هو في ظني أكثر جمالًا من اللقاء الواقعي، الذي يجرِّد المبدع من الهالة السحرية، التي يسبغها عليه القارئ في خياله، لكن الأمر يختلف مع بثينة الناصري، لم يكن هدفي أن أجري معها حوارًا صحفيًّا، أو أن أسألها عن آخر مشاريعها، أردت فقط أن أخبرها كيف ساعدتني قصتها تلك، التي وصلتني في وقت كانت فيه أيامي مثقلة بالحزن، أردت أن أحكي لها كيف كنت أحمل تلك القصاصة معي، وكيف رافقتني في أكثر الأماكن حزنًا، في ردهات المشافي الباردة، كيف كنت أحفظ مقاطع منها وأرددها، وأتخيَّل البحر وأشعر أن رائحته تكاد تغطي على رائحة المعقِّمات والأدوية. أرسلتُ لها رسالة أعرِّف فيها عن نفسي، لم يلبث الرد أن وصلني، كانت لطيفة ومرحِّبة، التقينا في دار الأوبرا المصرية، في ليلة خريفية دافئة، وصلت بثينة ترتدي زيًّا خفيفًا، تمشَّينا قليلًا ثم جلسنا على العشب، وأهدتني نسخة من كتابها «كتاب المغامرات»، بادرتني بالقول وكأنها تشرح أسباب اختيارها للكتاب: «أعشق المغامرات والتنقل، وأضجر من المكوث طويلًا في مكان واحد». تضحك: «ربما لهذا اخترت القصة القصيرة، لأنها تشبهني». هيئتها الرقيقة الهادئة لا تشي بذلك، قالت وكأنها أدركت ما جال في ذهني: «في منتصف السبعينيات، ذهبت في رحلة بحرية على متن باخرة تنطلق من الإسكندرية، وتمر على موانئ البحر الأبيض المتوسط». تصمت قليلًا ثم تتابع: «يومها لم تكلفني الرحلة كثيرًا، كان الدينار العراقي في ذلك الوقت يعادل ثلاثة دولارات ونصف الدولار، أما اليوم .. فقد تجاوز الدولار 1500 دينار». ذكَّرني حديثها باليمن، إلى أين وصل انهيار العملة هناك؟ تذكرت شريط الأخبار في ذلك اليوم الذي أخبرني أن اليمن لا يزال يرزح تحت وطأة المجاعة، والخوف، وتبدد الآمال في حل قريب. ولكن، سأؤجل الحزن الليلة، وأنصت إلى ألحان فريد الأطرش التي تنساب بعذوبة من قاعة مجاورة. وإلى صوت بثينة الهادئ وهي تكمل سرد حكايتها: «وصلت برشلونة وبقيت هناك لأسبوعين، حتى انتهى ما لديَّ من مال، فكنت أكتفي بتناول السردين المعلب، وأنام في الحدائق العامة، وأطلب من المركبات العابرة أن تقلَّني، كانت مغامرة رائعة».

أخبرتني بثينة أنها نشرت أول قصة لها وهي في السادسة عشرة، واللافت أنها وفي تلك السن المبكرة كانت قد قرأت فيضًا من كتب الأدب العربي والأجنبي، ويرجع الفضل في ذلك إلى مكتبة والدها: «كان والدي عبد الكريم

* كاتبة يمنية مقيمة في القاهرة.

شجون يمنية وعراقية في حوار مع بثينة الناصري

وفي مصر يطيب المقام

خالطها الكثير من الأسى والخسارات، لكنها لم تزل ممتلئة بحب الحياة. حيويتها تجعلك تسأل نفسك متى كانت آخر مرة وضعتَ فيها هدفًا، وسعيتَ إلى تحقيقه بحماسةٍ ونشاط. لكن الوقت لا يتأخر أبدًا لبداية جديدة، على الأقل هذا ما تخبرك به بثينة

الناصري صاحب فكر فلسفي ومكتبة عامرة بالكتب، تعلقت به فكريًّا، أحترم ثقافته وذكاءه، لهذا جمعت كل المقالات التي كتبها في الفلسفة، وفي اللغة، وفي الترجمات، ونشرتها في كتب، أحببت أن أهدي له شيئًا في مقابل أنه أهداني وجودي في الحياة».

وفي مصر طابَ المقامُ

غادرت بثينة إلى مصر في العام 1979 واستقرت فيها، لكن، لم يكن التأقلم سهلًا، والثمن دفعته من قصصها: «ظللت لسنوات لا أستطيع الكتابة، كنتُ نبتة خُلعت من أرضها، وزُرعت في أرض جديدة. ثم بدأت في التكيُّف مع واقعي الجديد، وحين كتبت أول قصة بعد انقطاع طويل، أسميتها ميلاد، فكانت ميلادًا جديدًا لي".

وعلى الرغم من أنها استغرقت زمنًا طويلًا لكي تتأقلم على الكتابة في البيئة الجديدة، فإن القارئ لا يكاد يلحظ في قصصها إشارة لهوية أو تحديدًا لبقعة جغرافية. ويستطيع كل أحد أن يرى ذاته في شخصياتها وأحداثها، أليس هذا صحيحًا؟ سألتها. هزت رأسها موافقة: «بالفعل، فأنا بعيدة عن المحلية، أشعر أنني مواطنة عالمية. قصصي لحظات إنسانية مجرَّدة، أدرك أن الإنسان هو ذاته في كل مكان، مثلًا قصة «الليلة الأخيرة»، تُرجمت إلى الإنجليزية، بعدها قابلت امرأة أمريكية أخبرتني أن القصة لمستها، وساعدتها على أخذ قرار ترددت فيه طويلًا».

لاحت لي الفكرة مثيرة لكنها مخيفة في الوقت ذاته، سألتها إن كانت تفكر وهي تكتب في أن كلماتها سوف تسافر مدنًا، وتنتهي في يد قارئ على الطرف الآخر من العالم، لا تدري ماذا ستبعث فيه من شعور، وأي أثر ستترك فيه، لكنها ردت بابتسامة تملؤها الثقة: «أذكر رسالة كتبها جندي عراقي لإحدى المجلات، يحكي فيها أنه كان قادمًا من الجبهة، وفي القطار المتجه إلى البصرة، وقعت في يده قصة «القطار المسافر»، ثم يصف كيف انهمك في قراءتها حتى وصل القطار إلى المحطة دون أن يشعر بمضي الوقت ولا بتعب السفر. ويسأل كيف يمكن أن يحصل على قصص أخرى للكاتبة. هذا بالتحديد ما أسعى إليه، رد فعل القارئ، أحب حقيقة أن كل قارئ يتلقى قصصي بشكل مختلف، يحذف منها، أو يضيف عليها من خياله أفكارًا جديدة قد تكون مناقضة لفكرتي، القارئ شريكي في الإبداع».

الدخول إلى عالم صناعة الأفلام

الانشغال برسم المشاريع والمخططات، ثم السعي إلى تحقيقها، جزء مهم من حياة بثينة، فهذا يضفي على أيامها غاية ومعنى، قد تكون أهدافًا صغيرة، كأن تضع مخططًا يحدد أشغالها اليومية ونزهاتها القصيرة، وقد يتسع الهدف ليشمل قرار تعلُّم مهنة جديدة، الإخراج السينمائي مثلًا: «حلمي أن أحوِّل قصصي إلى أفلام سينمائية قصيرة، أن أرى كلماتي وقد تجسَّدت في شكل صورة». تدرس بثينة الإخراج وكتابة السيناريو في معهد للسينما، وقريبًا ستخرج أول فيلم لها. تعلِّق ضاحكة: «سيكتبون عني أنني أخرجت أول أفلامي في عمر الخامسة والسبعين. الإخراج هدفي لهذا العام، أما العام القادم فلا أدري، سأفكر في تحدٍّ جديد».

بدت قوية ومتحدية، على النقيض من الصورة التي رسمتها لها في مخيلتي طوال سنوات. سألتها إن كانت تدرك مدى قوتها، قالت: «ربما، أحاول دائمًا أن أبحث عن حلول، أؤمن أن لدى كل إنسان قوة كامنة لم يتعلم بعد كيف يستغلها، لم يعد لديَّ مخاوف، تغلبت عليها كلها، لا يشغلني التفكير في المرض ولا أخشى الموت، فالحياة خالدة، والإحساس بالحياة لا يموت، الموت والحياة، مثل الشمس، تغرب لكنها تشرق من جديد».

تجاوزت الساعة العاشرة ليلًا، شارف اللقاء على نهايته، كنت أتأهب لوداعها حين قالت: «هل تعلمين أني سأحوِّل قصة «لماذا لا نذهب إلى البحر كثيرًا» إلى رواية؟ بل إنني شرعت في كتابتها». غمرني الفرح، قلت هذه فرصتي إذن كي أسألها عن رفيق، الشخصية التي ظل مصيرها مجهولًا في القصة؟ ثم لماذا غاب ذكر الأب؟ وهل سيلتقي الإخوة مجددًا؟ هزت كتفيها: «أنا مثلك لا أدري، لستُ أنا من يقرر النهاية، أنا فقط أبدأ الحكاية، وقصصي تكتب نهاياتها بنفسها».

تستعد بثينة للتحضير لفيلم مشروع التخرج، ذكرت لها رغبتي في حضور العرض، ودَّعتها وافترقنا، سرنا في اتجاهين متعاكسين، بثينة الناصري من أولئك الناس الذين يعيدون إليك الرغبة في الحياة، قالت الكثير لكنني فضَّلت عدم نشره، حياتها لم تكن يسيرة، خالطها الكثير من الأسى والخسارات، لكنها لم تزل ممتلئة بحب الحياة. حيويتها تجعلك تسأل نفسك متى كانت آخر مرة وضعتَ فيها هدفًا، وسعيتَ إلى تحقيقه بحماسةٍ ونشاط. لكن الوقت لا يتأخر أبدًا لبداية جديدة، على الأقل هذا ما تخبرك به بثينة. شققتُ طريقي خارج ساحة دار الأوبرا، وسط الضحكات الصاخبة لأفراد فرقة مسرحية أنهت تدريباتها للتو، وما تزال ألحان فريد الأطرش تصدح في المكان: «يا حبايبي يا غايبين.. واحشيني يا غالبين» ■

نضال رحمي*

أن تمنحك رسائل السجن عينًا ثالثة

طفلٌ واحد يجوب المدنَ باسمين

لا أعلم أكان هذا محض صدفة أم أنه كان قدرًا مُحكمًا. لكني أعلم أني أنا الفلسطيني المولود في بيروت من أب قضى جل عمره بين السجون والمنفى، وأم فلسطينية ولدت لاجئةً في لبنان.. أنا المتنقل بين عواصم الأرض وسائحٌ في الشتات من لبنان، لسورية، لليمن، لتونس لمصر وانتهاء بغزة. ولأن لكل امرئٍ من اسمه نصيبًا، فأنا أملك من الأسماء اثنين، وأنا منذ ولادتي أتنقل مع اسميَّ وعائلتي من بلد إلى بلد، وهو ما لم أدرِ له سببًا إلا عندما كبرت.

ألبوم صور العائلة

«هذا رسمي أقدمه لك للذكرى لأن الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان فاذكرني كي أذكرك، وقد تفنى الأعمار وتذبل الأزهار ولا يبقى سوى التذكار»

ما زلتُ أذكر حين وقع في يدي ألبوم صور ومجموعة من الرسائل القديمة، صور بالأبيض والأسود، ورسائل وقصاصات بُنيَّة أو صفراء اللون لها رائحة القدم، كلها ممهورة بكتابة على ظهرها رسالة بخط اليد، يذكر في أغلبها:

«نهدي إليك هذه الصورة للذكرى»، «أهدي إليك صورتي لتذكرني دائمًا يا أعز خال»، «أهديك صورتي أنا وبناتي للذكرى لأن الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان».

ألبوم الصور هذا، المشغول يدويًّا والمصنوع من النايلون والكرتون ليحفظ بداخله مجموعة صور ورسائل عائلية قديمة، هو ما حولني إلى شخص شغوف بالتصوير الفوتوغرافي.

يعود عمر هذه الصور والرسائل – التي ما زالت تتحدى الزمن وتقيم بحوزتي إلى يومنا هذا – إلى ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. صور، أدركت بمطالعتها ما للصورة من قوة وأهمية في التوثيق عبر الزمن. لقد كانت هذه الصور نافذتي الخاصة التي أتسلل عبرها إلى الماضي وأرى الحاضر. فالصورة لقطة تعكس لنا حقيقة لحظة من الزمن سواء كانت جميلة أو سيئة.

أبي والمعتقل والفوتوغرافيا

يحفظ أبي الصور عن ظهر قلب، ويحفظ تاريخ وصولها له في السجن.

روى لي أبي قصص اعتقاله، وأولها كان بعد حرب 1967، واستمر لفترة وجيزة. أما قصة اعتقاله الثانية فقد كانت في العام 1969واستمرت خمسة عشر عامًا.

شبه أبي غرفة السجن بـ «صندوق من الباطون»، بباب حديد موصد، لا يعرف فيها المعتقل الوقت، لا الليل ولا النهار ولا عدد الأيام. ذكر لي أبي كيف كان يرى في نقله من سجن إلى سجن فرجًا، فالرحلة من سجن بئر السبع إلى سجن عسقلان ليست بالرحلة الطويلة ولا القصيرة، وزخم الأحداث يصيب المعتقل بحالة من الضياع، حالة رمادية لا لون لها.

حين تتداعى ذكريات أبي يقول: «في داخل سجن عسقلان وزعونا في مجموعات، واندمجت مع باقي المعتقلين

سريعًا. كنا نتعاون في كل شيء: في توزيع الطعام والشراب، تنظيف الغرف وتقسيم الأعمال، جلسات ثقافية وأنشطة رياضية. أذكر أننا كنا أربعة في الغرفة تقاسمنا كل شيء فيما بيننا».

«ليالٍ عدة بعد أن تنطفئ الأنوار ويخلد الجميع إلى النوم، كنت أسمع بكاء أمي الخافت في منزلنا في غزة، لقد بكت أمي حتى أجبرها البكاء على عدم البكاء، أما أنا، فبكيت لاشتياقي لأمي وأبي وإخوتي. لا أعرف الوقت الذي مر دون أن أعلم عنهم شيئًا إلى أن تم إبلاغ اللجنة الدولية للصليب الأحمر من قبل إدارة السجون بوجودي داخل السجن، قام مندوب الصليب الأحمر بزيارتي داخل السجن، وسمحوا بعد ذلك لعائلتي بزيارتي عن طريق الصليب الأحمر».

لرسائل السجن وقعها على أبي، حتى بعد عقود من الإفراج عنه، وقد كان يكتب الرسائل للعائلة والأصدقاء ويرسلها عبر الصليب الأحمر الدولي.

بعض الرسائل كانت ورقية والبعض الآخر صور من العائلة والأصدقاء والجيران وتكتب الرسالة على ظهر الصورة. كانت هذه الرسائل همزة الوصل بينه وبين العائلة، ينظر إلى الوجوه في الصور فتواسيه عيونهم وتدفعه لتقبل ما يمر به.

يقول أبي: «كانت الصور تظهر دقات الشوق والفرح، تعرفت على أبناء إخوتي وزوجاتهم من خلال الصور وشاركتهم أفراحهم، كان للصورة أثر عظيم في أن تجعلني مع عائلتي وأنا خلف الجدران».

الحرية.. أجمل كلمات أهل الأرض

الحرية هي أجمل كلمة على هذه المعمورة..

في أواخر عام 1981 تم الإفراج عن أبي إلى قبرص، ليبدأ حقبة جديدة من حياته، ودع زملاءه الذين ما زال بعضهم في السجن إلى اليوم، لقد منحته الحياة قبلتها. كان الصليب الأحمر حاضرًا في رحلة استمرت خمسة عشر عامًا.

منحني والدي الصور ورسائل السجن حيث أصبحوا عيني الثالثة التي أرى فيها مستقبلي، فنحن من خلال الصورة نلتقط لحظة ونوقف الزمن.

أنا الآن، ومنذ 14 عامًا، أعمل مصورًا صحافيًّا مستقلًّا في قطاع غزة. تخرجتُ في كلية التصميم والمونتاج وحاصل على ليسانس من كلية الصحافة وعدة دورات دولية في التصوير الفوتوغرافي، وأعمل على تغطية الصراع والحرب والحصار والقصص الإنسانية في قطاع غزة، وآمل في السفر إلى إيطاليا للالتحاق ببرنامج الماجستير في التصوير الصحفي والذي لم أستطع السفر إليه بسبب الأوضاع في قطاع غزة.

بالنسبة لي، أصبحت الصورة نافذة عبور إلى كل ما هو صالح وإنساني وصادق، ومن خلال الكاميرا عرفت نفسي جيدًا وكل ما أريد هو أن أستمر في عملي وفي دراستي حول التصوير الفوتوغرافي الوثائقي وإكمال دراساتي العليا وتعليم الأجيال الجديدة عن أهمية فنون التصوير.. وليس كثيرًا أن يطلب الإنسان ذلك ■

* مصور صحافي فلسطيني من قطاع غزة.

أحمد آل داود

على هامش المذكرات

ليس من المفيد الخوض في أسرار الحرب، فقد تكون أسبابها خفية أو حتى جلية، بل المفيد جدًّا التعريف بصناعتها المرعبة للموت. لا حياة في الحرب لضيق الخيارات. فالحرب – ببساطة شديدة – أعداد رهيبة من القتلى والأرامل والثكالى والأيتام والمفقودين والمعوقين جسديًّا ونفسيًّا. الحرب تغير شكل الحياة وتحيلها إلى غياب.. تنشر الخراب الذي يمس الأرواح والنفوس والأمكنة، وتتراكم القساوة في نفوس الناجين منها من كآبات ولوعات يصعب تجاوزها على مدى العمر وسنواته.

فهأنذا وقد رجعت من الأسر منذ ما يزيد على الثلاثين سنة، ولا زالت تحاصرني كوابيس من أنواع شتى، وهموم في الصحو والمنام صعب عليَّ التخلص منها رغم كل المحاولات الدؤوبة في التأقلم بغية تجاوزها لعيش سوي ولكن دون جدوى. ذلك لأن الحرب لحظة فارقة في الحياة تكبر مثل أية كارثة وتحت ضلال يتسلل عبر عقائد وإرهاصات زمنية لا طائل من رسوخها.

فلكي يصبح الإنسان إنسانًا والحضارة حضارة لا بد من الركون إلى شيء آخر، وأن نؤمن بواقع المشاركة في كل جوانب الحياة. فالآخر يحلم كما نحلم ويرغب كما نرغب في رفاهية وارتقاء ومعارف وأمان, وهذا لن يحدث إلا بإشاعة ثقافة السلام والمحبة، ومن هنا توجب على المجتمع العالمي أن يخطو في هذا السبيل بلغة تفاهمية وبصبر ونفس دؤوبة لخلق بدائل الحروب وعلى الشعوب أن لا تكون مطواعة لنزوات المغامرين من الحكام [وأن تكبل مثل تلك النزوات] بنظام ديمقراطي حقيقي بعيدًا عن الصنمية التي تحيل الناس إلى ضحايا وأشلاء وشظايا، ولكي يحدث النهوض والاستيقاظ أن تستل عناقيد الألغام لتحل محلها عناقيد الكروم والأشجار، ويسمو المحراث وأدوات البناء محل أسلحة الدمار، وتتلاقى الأيادي بالتحية بعد ابتعادها عن زناد البندقية ليسود الحب ويعم السلام ويستنشق الهواء صافيًا يملأ القلوب وشغافها، وأن تتجانس النظرة إلى المستقبل ورسم خرائط لطريق الأحياء والأجيال.. فالأرض كافية للجميع بخيراتها وخبراتها للأنا والآخر وترتيب البيوت وهندام الملابس وعطر زكي يعطر كل الأشياء.

وإن ما دونته في كتابي (مذكرات أسير) يحكي عن وجوه الحرب الكثيرة العبوس رغم كل التزويقات المضللة وليكون هذا الكتاب بمثابة انعكاس وإضاءة للمهمات إصابات الحروب وخرابها ومسالكها الوعرة في قتل الآخر الذي هو أنا قبل أن يكون هو، وتحت أوهام المنتصر والمهزوم، ففكرة المنتصر ما هي إلا كذبة كبيرة استسغنا تصديقها تحت مفعول عقاقير الإعلام المظلل بالغشاوة والإيهامات، فقد اشتغلت هذه المذكرات على لغة الحدث قبل لغة الكلمة لأدعو من خلالها ما استطعت أن أدعو لاستطلاع ملفات الحروب وأنفاقها المعتمة التي لا ضوء في قلبها ولا في نهايتها لخلق حالة من الكراهية المجتمعية لشيء اسمه الحرب ولمكافحة إرهابها كما تكافح الفيروسات الضارة لإنقاذ البشرية من شرورها... وتلك هي الحياة.

القاهرة:

في ذكرى تدشينها الخامسة: مدونة «الإنساني» تطلق مشروع المقالات الصوتية

أطلقت مجلة «الإنساني» مشروعًا للمقالات الصوتية بهدف تعزيز حضورها الرقمي بوصفها منصةً رائدة في الصحافة الإنسانية وفي إنتاج محتوى فريد باللغة العربية يخص نشر المعرفة بالقانون الدولي والقضايا الإنسانية المعاصرة.

واستهلت «الإنساني» المشروع بطرح مجموعة متنوعة من المقالات الصوتية التي نُشرت خلال الشهور الأخيرة سواء في المجلة المطبوعة أو على المدونة الإلكترونية، وهي نصوص تتناول الآثار الإنسانية المختلفة للنزاعات المسلحة وأشكال العنف الأخرى التي تعصف بالمنطقة العربية والعالم.

ومدونة «الإنساني» هي منصة إلكترونية أطلقت في أيلول/ سبتمبر من العام 2017، وهي إصدار يتبع مجلة «الإنساني» التي تحتفي في العام المقبل بالذكرى الخامسة والعشرين لصدورها.

تشكل المجلة منذ تسعينيات القرن الماضي منبرًا صحافيًّا يفتح مساحة لإنتاج المحتوى والنقاش حول أوضاع المدنيين في الدول التي تعصف بها النزاعات المسلحة، علاوة على نشر المعرفة حول القانون الدولي الإنساني، وحقوق الإنسان بشكل عام، بين القراء المتابعين للقضايا المعاصرة.

صدر العدد الأول من «الإنساني» في كانون الأول/ ديسمبر من العام 1998، بفريق تحريري قاده الصحافي محمد سيف، والصحافية عنايات فريد، وأشرف على التحرير المدير الأسبق للمركز الإقليمي للإعلام باللجنة الدولية الأسبق رولان هوجنين. كما تولى الفنان الراحل محيي الدين اللباد (1940 - 2010)، مسؤولية الإخراج الفني للمجلة.

وقالت زينب غصن، رئيسة تحرير مجلة الإنساني: «كان من الضروري لنا أن نواكب التطور المذهل الذي طرأ على الوسائط الرقمية التي تنقل المحتوى المسموع باللغة العربية. في اعتقادي أن المحتوى المسموع أصبح اليوم فرس الرهان في المحتوى الرقمي العربي. لدينا في «الإنساني» محتوًى مميزٌ باللغة العربية، ونرى من الأهمية بمكان أن يصل إلى أوسع شريحة من الجمهور الشاب في العالم العربي والذي يبدو أنه يتجه أكثر فأكثر للمحتوى المسموع».

ومشروع المقالات الصوتية جزء من خطة أوسع لتوظيف الوسائط الرقمية في نقل المحتوى الذي تنتجه اللجنة الدولية لشريحة كبيرة من الجمهور الذي يتحدث العربية.

ICRC

وجرى تسجيل المجموعة الأولى من المقالات بالتعاون مع شبكة «رُواة»، وهي منصة لإنتاج محتوى صوتي باللغة العربية مقرها العاصمة المصرية القاهرة.

تأسست «رُواة» منذ العام 2016، ومنذ ذلك الحين اكتسبت مكانة مرموقة في عالم إنتاج المحتوى المنطوق باللغة العربية لا سيما بما يميزه من مؤثرات صوتية متقنة ولغة عربية سليمة.

وقال معتز صقر، مدير منصة «رُواة»: «منذ التأسيس ونحن حريصون على تقديم محتوى باللغة العربية الفصيحة البعيدة عن الانتساب إلى اللهجات العربية، لكي تكون أقدر على توجيه المحتوى العربي إلى الجمهور العربي كافة، ومن ثم كان هذا أدعى إلى فهم احتياجات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إنتاج مقالات مجلة الإنساني بلكنة بيضاء.»

ويشير مصطلح «اللكنة البيضاء» إلى استعمال صوت عربي فصيح يتجاوز اللكنات العربية المحلية.

وأضاف صقر، الذي تولى تسجيل بعض المقالات بصوته: «تجربتنا مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ثرية للغاية، ونحن حريصون على أن نضع خبراتنا كلها بين يديها، ونطمح إلى أن يشكل هذا التعاون بيننا نقطة إضافة لكلينا في إنتاج المحتوى الصوتي باللغة العربية».

كما شارك في تسجيل المقالات أصوات متميزة في التعليق الصوتي مثل إسراء جلبط ومحمد محمود.

والمقالات الصوتية جميعها متاحة على حساب مجلة الإنساني في منصة ساوند كلاود للمحتوى الموسيقي والصوتي.

ومن بين هذه المقالات شهادة للمصورة الصحافية الفلسطينية سمر العوف حول تحديات تغطية موجة العنف التي تعرض لها قطاع غزة في أيار/مايو 2021، وهي مساهمة مؤثرة ترسم تفاصيل شديدة الخصوصية لخسائر الأرواح في القطاع وللدمار الذي طال البنية التحية.

كما جرى تسجيل مقال كتبه الصحافي المصري سيد محمود عن الإنسانية في أعمال الشاعر الفلسطيني الكبير الراحل محمود درويش.

وتشمل هذه القائمة أيضًا مجموعة من المساهمات الفكرية للدكتور أحمد الداودي، وهو مستشار للجنة الدولية في قضايا القانون الدولي الإنساني والإسلام، والتي يتناول فيها عددًا من المسائل والتحديات المعاصرة المرتبطة بالتعامل مع ظاهرة النزاعات المسلحة المعاصرة وحالات العنف الأخرى وموازنتها بالخبرة الفكرية والممارسة التاريخية للشريعة الإسلامية.

وستوالي المجلة تسجيل المقالات من أرشيفها الغني والذي يشمل مساهمات من كتاب وصحافيين وأكاديميين بارزين كمحمد المخزنجي ومحمد البساطي ودلال البزري وشريف عتلم وفضيلة ملهاق وسحر مندور ولنا شاهين ورشا قنديل وميسون عزام.

.. ودورتان تدريبيتان للصحافيين حول القانون الدولي الإنساني

عقدت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة خلال العام 2022 دورتين تدريبيتين للصحافيين في مجال القانون الدولي الإنساني والنزاعات المسلحة.

اشتملت الدورتان، مدة كل واحدة منهما يومان، على عدد من المحاضرات حول مبادئ القانون الدولي الإنساني وسبل الحماية التي يوفرها للصحافيين، علاوة على الفرق بينه وبين القانون الدولي لحقوق الإنسان.

كما ضمت الدورتان محاضرات تعريفية عن أنشطة اللجنة الدولية في مصر منذ الحرب العالمية الأولى، وحضر الدورتان قرابة ثلاثين صحافيًّا وإعلاميًّا من مختلف القنوات والمواقع الإخبارية المصرية والعربية.

وقالت نسمة نوار، المتحدثة باسم بعثة اللجنة الدولية في القاهرة إن هدف هذه الدورات هو «نشر الوعي بالقانون الدولي الإنساني مع مختلف الأطراف المعنية بمن فيهم الصحافيون».

بغداد:

لقطات ملهمة عن التَّغير المناخي في مسابقة للتصوير الفوتوغرافي

كتبت: هبة عدنان*

شهدت دورة هذا العام من المسابقة السنوية التي تجريها اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق للتصوير الفوتوغرافي للقضايا السنوية مشاركة متميزة كمًّا وكيفًا، إذ تلقت قرابة 200 مشاركة من مصورين وصحافيين وهواة في موضوع مسابقة هذا العام وهو التغير المناخي في البلاد.

حصل على المركز الأول المصور الفوتوغرافي حمد شاهر، من محافظة ذي قار جنوبي العراق، عن لقطة متميزة تصور التدهور البيئي في منطقة الأهوار. وحصل حسن علي وفرمان صالح على الجائزتين الثانية والثالثة، فيما حصل أسيد العاني على جائزة الجمهور.

دأبت بعثة اللجنة الدولية في العراق على تنظيم مسابقة تصوير فوتوغرافي كل عام حول القضايا الإنسانية الملحة في البلاد، بهدف توجيه الأنظار نحو القضايا الإنسانية ورفع الوعي العام تجاهها.

تملك الصورة القدرة على إيصال الرسائل الإنسانية ورفع الوعي بالحدث ربما بشكل أكبر حتى من الكلمة، فصورة واحدة أحيانًا قد تساوي ألف كلمة.

العراق واحد من أبرز البلدان التي تواجه أزمات تغير المناخ وتدهور البيئة، إذ يصنف كخامس دولة أكثر عرضة للتغير المناخي في العالم، وتعاني مختلف محافظات العراق من هذه التغيرات بسبب هشاشة الوضع

فيها نتيجة تدهور البنى التحتية بعد سنوات من الحرب والنزاعات المسلحة. كما أن ارتفاع درجات الحرارة أصبح أمرًا شائعًا إلى جانب تكرار مواسم الجفاف واشتداد حدة العواصف الترابية.

الفائز الأول في المسابقة كان حمد شاهر، وهو مصور من محافظة ذي قار جنوب العراق والتي تشهد تدهورًا بيئيًّا كبيرًا خاصة لمنطقة الأهوار والتي شهدت تراجعًا في مستوى المياه وارتفاعًا في نسب الملوحة في الأرض نتيجة قلة المياه، والتي أدت إلى جفاف مناطق شاسعة من الأهوار ونفوق الحيوانات.

يقول حمد: «قبل فترة قصيرة كنت أنا ومجموعة من المصورين العراقيين قد أطلقنا حملة توعية تحت وسم (أنقذوا الأهوار - تراث عالمي)، وعندما علمت بالمسابقة التي أطلقتها اللجنة الدولية، وجدت فيها فرصة من خلالها أستطيع إيصال صوت الأهوار باستخدام الصورة، ولم أكن حينها أتوقع الفوز لأني كنت أدرك أن المنافسة في هذا الموضوع بالذات ستكون قوية بسبب انصباب اهتمام العديد من المصورين المبدعين تجاه أزمة التغير المناخي في البلاد».

أما الصورة الفائزة بالمركز الثاني التي التقطها حسن علي وهو مصور شاب من محافظة ذي قار أيضًا، فتظهر حجم الجفاف الذي أصاب مساحات شاسعة من الأهوار التي لطالما عرفت بغزارة مياهها والتنوع البيولوجي فيها.

كما أن المركز الثالث كان من نصيب فرمان صالح، والصورة تظهر جبلًا من القمامة والملوثات البيئية بالقرب من أحد جبال محافظة السليمانية في إقليم كردستان العراق.

الديوانية:

... وورشة للتغطية الخبرية الإنسانية وحماية الصحافيين

خلال السنوات الماضية، نظمت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق وبعثاتها الفرعية، العديد من ورش العمل للمئات من الإعلاميين بالشراكة مع عدد من المؤسسات الإعلامية ومن مختلف المجالات، بدءًا من المحررين إلى المصورين الرقميين بالإضافة إلى الصحافيين المستقلين والمشاركين في تغطية الحالات الإنسانية.

ففي شهر تموز/يوليو الماضي، نظمت اللجنة الدولية ورشة «التغطية الإنسانية وحماية الصحافيين» في محافظة الديوانية وهي إحدى محافظات جنوبي العراق. افتُتحت الورشة بمقدمة عن مكونات ومبادئ الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر وتعريف للصحافيين على أفضل السبل للتواصل مع اللجنة الدولية في العراق. شارك في الورشة 20 صَحَافِيًّا وصحافيةً من مختلف المؤسسات الإعلامية العاملة في العراق، وركز الميسرون في الورشة على رفع مستوى الوعي لدى الصحافيين بالحمايةِ التي يتمتع بها الصحافيون بموجب القانون الدولي الإنساني.

عن الورشة، قال ليث أمين، مسؤول التواصل في البعثة الفرعية في محافظة النجف الأشرف، وهو أحد الميسرين في الورشة: «العراق بلد شهد 40 عامًا من النزاعاتِ المسلحة تسببت بأضرارٍ كبيرة وخلفت الكثير من الحالات الإنسانية، وهنا يقع العبء على عاتق الصحافيين في تسليط الضوء على هذه القضايا المهمة».

أما محمد جاسم، المسؤول الميداني في قسم التلوث بالأسلحةِ في اللجنةِ الدولية، والذي قدم جلسة توعية حول التلوث بالأسلحةِ في العراق، فقد قال: «الأهمية تكمن بأن يكون لدى الصحافيين علم بحجم ومدى تأثير التلوث بالأسلحة على حياة المدنيين بصورة عامة، وفي جميع المجالات الاقتصادية، الاجتماعية، الإنسانية، البيئية وحتى التنموية علمًا أن ملف التلوث بالمخلفات الحربية في العراق لم ينَل التغطية الإعلامية الكافية والتي توازي حجم المشكلة على أرض الواقع، فبالتالي يمكن أن يكون عرض المشكلة من خلال ورش عمل كهذه أمام أنظار الصحافيين هو بحد ذاته يعتبر مناصرة للمجتمعاتِ التي تقع تحت تأثير هذه المخلفات، حيث بإمكانهم كصحافيين الضغط على صناع القرار في التعامل بجدية وفاعلية أكثر مع هذا الملف».

والمعروف أن العراق يعد واحدًا من البلدان شديدة التلوث بالأسلحة، حيث تقدر مساحة التلوث بنحو 3200 كيلو متر مربع.

وعن مدى استفادة المشاركين في الورشة، تحدث فراس السعدي، وهو صحافي ومعد برامج في وكالة أكد نيوز للأنباء: «يوجد تقارب بين عملنا، نحن الصحافيين، وبين عمل اللجنة الدولية بما يخص القضايا الإنسانية» على اعتبار أن العمل الصحافي يمثل مهمةً إنسانية كما الحال مع مهمة اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وأضاف السعدي: «من بين أهم النقاط التي خرجت بها من الورشة هي أهمية شارة اللجنة الدولية في الحماية ومدلولها التاريخي، بخلاف ما كنت أعتقد من أن لها مدلولًا دينيًّا».

ومن بين أبرز المواضيع التي طرحت في الورشة، كان موضوع التغطية الإعلامية من منظور إنساني، مع إلقاء الضوء على هوس السبق الصحافي الذي قد يُنسي أحيانًا العاملين في مجال الإعلام، الإنسانية، فيركز الصحافي على الخبر بدلًا من القصة الإنسانية وراء ذلك الخبر.

من جهتها أشادت د. نورس العاني، وهي صحافية من إعلام مكتب محافظ الديوانية بالورشة وتحدثت عن أهم الدروس المستفادة منها قائلةً: «الآن أصبح بإمكاني أن أميز بين الصحافي المرافق والمراسل الحربي ومن الذي يعتبر أسير حرب في حال اعتقاله».

مراسل صحيفة العربي الجديد، الصحافي محمد الشمري أضاف: «من الأشياء المهمة في ورشة اليوم هو تعرفي على قواعد القانون الدولي الإنساني وكيف يمكنني أن أحمي نفسي أثناء التغطية الإعلامية للنزاعات المسلحة، وتعرفت من خلال الورشة على دور الصليب الأحمر في حماية المدنيين المتأثرين بالحروب».

* المتحدثة الرسمية للجنة الدولية للصليب الأحمر في بغداد

دمشق:

اللجنة الدولية تقدم خدمات لملايين السوريين في جميع أنحاء البلاد

ICRC

قال تقرير صادر عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر إن ملايين السوريين في جميع أنحاء البلاد قد استفادوا خلال النصف الأول من العام 2022 من مختلف الخدمات الأساسية التي قدمتها اللجنة الدولية بالتعاون مع الهلال الأحمر العربي السوري.

وتهدف هذه الخدمات إلى الاستجابة للاحتياجات الأشد إلحاحًا للسكان الذين لا يزالون يواجهون ظروفًا شديدة الصعوبة داخل سورية من جراء النزاع الدائر. وتعمل اللجنة الدولية على تقديم المواد الغذائية والمستلزمات الأساسية الأخرى، وإصلاح شبكات الإمداد بالمياه، ودعم الخدمات الطبية لمساندة الأشخاص الأشد ضعفًا.

ففي مجال دعم البنية التحتية الحيوية، استفاد أكثر من 12 مليون شخص من الأنشطة المختلفة للمياه والسكن في جميع أنحاء البلاد، ومنها برنامج لتطهير المياه في 12 محافظة سورية. كما استفاد قرابة 30 ألف نازح من أعمال التجديد والتحديث للمساكن وشبكات الصرف الصحي.

وفي مجال الرعاية الصحية، حصل أكثر من 600 ألف شخص على خدمات الرعاية الصحية من خلال 15 عيادة تابعة للهلال الأحمر السوري و17 وحدة متنقلة تدعمها اللجنة الدولية.

وفي مجال تعزيز كرامة الإنسان وإعادة التواصل بين العائلات، قام ممثلو اللجنة الدولية بـ 30 زيارة لاماكن الاحتجاز. كما استلمت اللجنة الدولية قرابة ألف طلب للبحث عن الأشخاص مجهولي المصير من العائلات السورية، علاوة على تبادل أكثر من 700 رسالة شفوية ورسالة من رسائل الصليب الأحمر بين العائلات التي تشتت شملها.

صنعاء:

حصاد استجابة اللجنة الدولية في اليمن خلال العام 2022

ركزت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أنشطتها خلال 2022، بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر اليمني، على مجالات الصحة والأمن الاقتصادي والمياه والحماية. ففي النصف الأول من 2022، قدمت الدعم المادي والتقني والمالي لـ 58 مرفقًا صحيًا، استفاد منه أكثر من مليون شخص.

وفي الفترة ذاتها، قدمت اللجنة الدولية خدماتها لأكثر من 110 آلاف من الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في خمسة مراكز لإعادة التأهيل البدني. وأدارت فرقنا مشاريع لتحسين الأمن الاقتصادي، إذ دعمت أكثر من 300 ألف شخص بحصص غذائية ومستلزمات منزلية أساسية. كما مكنت اللجنة الدولية أكثر من 670 ألف شخص من الحصول على المياه الصالحة للشرب.

كما زارت أكثر من 15 مركز احتجاز في جميع أنحاء البلاد. وساعدت في إعادة 119 محتجزًا من المملكة العربية السعودية إلى اليمن، ووزعت أكثر من ألف رسالة من رسائل الصليب الأحمر لتحقيق إعادة التواصل بين الأشخاص وأحبائهم.

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

ICRC

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (14) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 2 5917900 (972+) فاكس: 2 5917920 (972+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

الجزائر: 43 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 183 (249+) (خمس خطوط) فاكس: 183 467709 (249+)
البريد الإلكتروني: kha_khartoum@icrc.org
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 11 3310441 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

الرباط: 35 زنقة القلصدي (خلف مصحة ابن خلدون) ، أكدال 10090، الرباط
هاتف : 537750551 (212+) فاكس : 537651018 (212+)
البريد الإلكتروني: rab_rabat@cicr.org

القاهرة: 84 شارع 104 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، مصر
هاتف: 41/25281540 2 (202+) فاكس: 25281566 (202+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 8، شارع رقم 17، منزل رقم 4 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

بغداد: الصالحية، حي السكك، محلة 220، زقاق40 دار 6 ص.ب 3317 العلوية بغداد– العراق
هاتف: 7/ 8126 443 770(0) (964+) 5/ 7801 964614(0) (964+)
البريد الإلكتروني: bagdad@icrc.org

بيروت: جان دارك 326، شارع صيداني، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299 1 (961+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 71 (216+) فاكس: 960156 71 (216+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

جوبا: شارع الوزارات العمارات، جوبا، جمهورية جنوب السودان
هاتف: 889 151 977 0 / 170 275 912 0 (211+)
البريد الإلكتروني: jub_juba@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 11 3310441 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

طرابلس: النوفلين - شارع ابراهيم الهوني 10,53,050 بالقرب مصحة الأخوة طرابلس - ليبيا
هاتف: 9332 340 21/ 9331 340 21 (2180+)
البريد الإلكتروني: tri_tripoli@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر. الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–2122645821 (98+) فاكس: 2122600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/ 467873 1 21 38 44 (967+) فاكس: 75 78 46 1 (967+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 6 (962+) فاكس: 5921460 6 (962+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

نواكشوط: الحي A، المنزل رقم ZRA 722، صندوق البريد 5110، نواكشوط، الجمهورية الإسلامية الموريتانية
هاتف: 45245810/45244738 (222+) فاكس: 45244697 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@cicr.org

الحماية المجتمعية: دليل للجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر

يقدم هذا الدليل إرشادات نظرية وعملية بشأن نهج الحماية المجتمعية. ويطرح مقدمة عن المفاهيم والتعريفات الأساسية التي ترتبط بنهج الحماية المجتمعية، وتجعل منه نهجًا مختلفًا عن العمليات والنُّهج الأخرى، وكذا الدور الذي يضطلع به المجتمع المحلي في العملية برمتها. ويقدم أيضًا نظرة عامة على المراحل والخطوات والأدوات المختلفة التي تنطوي عليها عملية تنفيذ نهج الحماية المجتمعية، وبعض الأشياء التي يجب مراعاتها، إلى جانب أمثلة عملية.

للحصول على هذا الدليل، زر هذا الرابط:

shorturl.at/ikLUY

دراسة استقصائية أمنية للمرافق الصحية

يمثل تعزيز أمن مرافق الرعاية الصحية واستعدادها للتصدي للعنف والهجمات عاملًا رئيسيًّا لضمان استمرار حصول الناس على الرعاية الصحية في حالات النزاع أو حالات العنف الأخرى. سيحتاج الموظفون المسؤولون عن إدارة المرافق الصحية إلى إجراء تقييم للمخاطر والاحتياجات القائمة من أجل تحديد أكثر التدابير أهمية وترتيب أولوياتها لتنفيذها، ولا سيما في الحالات التي تكون فيها الموارد شحيحة والوضع متقلبًا. يشرح هذا الدليل كيفية استخدام الدراسة الاستقصائية الأمنية للمرافق الصحية، وهي أداة صممتها وحدة الماء والإسكان باللجنة الدولية لتقييم مستوى تعرض أي مرفق صحي يعمل في سياق نزاع مسلح للمخاطر وأمنه واستعداده.

للحصول على هذا الدليل، زر هذا الرابط:

https://bit.ly/3T0pIEe

استخدام المساعدة النقدية وقسائم الشراء لمنع العنف الجنسي والتصدي له: دليل عملي

اشتركت في إعداد هذا الدليل الفرق المعنية بمكافحة العنف الجنسي وفرق المساعدة النقدية المؤسسية. وهذا هو الإصدار الثالث في سلسلة من الملاحظات التوجيهية الصادرة عن اللجنة الدولية بشأن التصدي للعنف الجنسي باعتباره من الأولويات المؤسسية.

يؤدي استخدام المساعدة النقدية وقسائم الشراء بوصفها أداة للتصدي للعنف الجنسي إلى منح الأشخاص حرية الاختيار وصون كرامتهم اتساقًا مع أهداف النهج المتمحور حول الناجين.

ومن أمثلة تلبية احتياجات الضحايا/الناجين أو الأشخاص المعرضين للخطر استخدام المساعدة النقدية وقسائم الشراء للحيلولة دون اللجوء إلى آليات التكيف السلبية ومنها ممارسة الجنس بمقابل لتلبية الاحتياجات الأساسية من قبيل الإيجار أو الطعام. ومن شأنها كذلك أن تدعم إمكانية وصول الشخص إلى الخدمة التي يحتاجها من خلال تغطية تكاليفها أو النفقات الأخرى ذات الصلة مثل النقل الآمن لتجنب طرق السير الخطرة أو المواقع التي يُعرف أن الجماعات المسلحة ترتكب العنف الجنسي فيها، وبالتالي المساعدة في التخفيف من احتمالات التعرض لهذه المخاطر.

للحصول على هذه المطبوعة، زر هذا الرابط:

https://bit.ly/3pUfHLL

رعاية المصابين بالصدمات الناجمة عن الانفجار: دليل الدورة التدريبية

تؤدي الآثار الناجمة عن انفجار لغم أرضي أو مخلفات حرب متفجرة إلى إحداث أنماط من الإصابات تختلف عما يُدرس في التدريب الطبي العام. فتتسم الجروح، التي تكون كثيرة غالبًا، بطبيعة تستلزم استخدام المعارف والتقنيات والمعدات المتخصصة لمنح ضحايا الانفجار أفضل فرصة للبقاء على قيد الحياة.

وهذا الدليل، المصمم ليستخدم إلى جانب دورة اللجنة الدولية للصليب الأحمر حول رعاية المصابين بالصدمات الناجمة عن الانفجار، مقسم إلى 12 فصلًا. ويتناول كل فصل تحديات محددة والاستجابات المقترحة للتصدي لها.

للحصول على هذا الدليل، زر هذا الرابط:

https://bit.ly/3dO7yWg

اللجان الوطنية والهيئات المماثلة المعنية بالقانون الدولي الإنساني: المبادئ التوجيهية لتحقيق النجاح

كفل القانون الدولي الإنساني الحماية للأشخاص والممتلكات في النزاعات المسلحة، ولكن هذا لا يحدث إلا إذا أُقِرَّت قواعد هذا القانون على النحو الملائم، وفُهمت فهمًا واضحًا، وتحقق الامتثال لها بشكل تام.

تقدم هذه الوثيقة نظرة عامة عن دور هذه اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني وعملها. وتستعرض السبل التي تكفل لهذه اللجان أداء عملها بكفاءة، من حيث الأعضاء الذين تضمهم في تشكيلها مع وصف مفصل للسمات التي أثبتت التجربة ضرورة توافرها في هذه اللجان كي تؤدي دورها كما يجب.

للحصول على هذا الدليل، زر هذا الرابط:

https://bit.ly/3QJfYN7

countries and regions plagued by conflict and crises.
The issue features many valuable contributions. Media workers, journalists, and content creators talk about how they have gained credibility in telling the stories of victims in conflict-afflicted countries. We read Mayssoun Azzam's experience with humanized news, in which the victims made the headlines with their stories. Rasha Qandil, an Egyptian journalist, provides a deep analysis of media coverage at a time when armed conflicts are changing around the world. We also cover social media platforms who are advocating for urgent causes. In this regard, Salah Marashy, a Syrian photographer, presents his photography project that seeks to document the archaeology and monuments of Aleppo damaged or destroyed by war. From Iraq, Aya al-Qaisi inspires us with her account of how she faces the challenges of disability and uses social media to advocate for the rights of people with special needs in her country.
Part of the issue is devoted to the pressing challenges facing humanitarian action today. Fiona Terry, an expert in international humanitarian law, explains her conversion from a "neutrality-sceptic" to a true believer in the purpose and necessity of not taking sides in war.
Rasha Mahmoud, head of the Arabic Translation Unit at the ICRC's Regional Communication Centre in Cairo, discusses the dilemmas of translation in the context of humanitarian response and the translator's critical role in identifying and responding to the needs of the affected population.
Continuing Al-Insani's role in producing original content that explores the common connections between international humanitarian law and the traditions of various cultures and religions, artist Anastasya Eliseeva presents a work exploring the links between African traditions and the law of armed conflict. Finally, we read a dialogue between two Arab female writers from different generations and countries – Iraq and Yemen. Both countries have been exhausted by war, yet both authors are trying as hard as they can to overcome this through their writing and stories.

«Al-Insani»

AL-INSANI . 70 . Winter 2022/2023
A Humanitarian Compass for Media Workers

Contents

• Displacement in Yemen: seeking minimum care in a camp where time has stopped, by Imene Trabelsi, ICRC spokesperson for the Near and Middle East.
To highlight the harsh humanitarian conditions being endured by displaced people living in the desert area of Maareb in central Yemen Trabelsi tells the story of Fatima, describing the unbearable misery and distress suffered by Yemenis in this protracted bitter conflict since 2014.

• The helmet, by Aram Hussein, ICRC communication officer in Karkuk, Iraq.

File: A humanitarian compass for media workers
• Fashionista and humanitarianista: building a better world, by Mayssoun Azzam, political anchor and news presenter with the TV channel Al Arabiya News.
In this article, Azzam writes about how the role of the media has developed beyond merely presenting news to "humanizing" it, with various media platforms now having sufficient impact to be able to change media consumers' understanding and perception of news.

• When war becomes material for jokes: our ethics and representation of women in time of war, by Atef Othman, an Egyptian translator the ICRC Regional Communication Centre in Cairo.
This article explores the stereotyping of women in time of war and use of their suffering as material for jokes and memes on social media platforms. It is based on monitoring of how some newspapers and social media users shared and commented on photos of Ukrainian women in ways that sexualized and objectified them.

• New media and new spaces for women in times of conflict, by May Ajlan, Egyptian researcher specializing in women's issues, peace and security.
This article seeks to answer a number of questions about the role played by social media in countries experiencing armed conflict, how social media platforms have helped support women's rights during war and conflict, and the obstacles that stand in the way of increasing the effectiveness of these platforms.

• Spirits of the past on a banknote, by Nada Thakib, an Egyptian writer and photographer.
The world is becoming increasingly violent, enveloped in the flames of war, assault, killing, kidnapping, natural disasters and unprecedented global warming. This "red reality" exists alongside a "blue virtuality" populated by the likes of Facebook and Twitter, among others. In this article, Thakib examines the changing features of the social media world and asks: can we draw up a charter to respect people's feelings and pain? And if we can, will it be observed and respected?

• This is what social media gave me, by Aya al-Qaisi, an Iraqi activist for the rights of people with special needs.
In this article, al-Qaisi traces her journey supporting people with special needs through the use of social media platforms. She relates how her activities on these platforms have led her to support people who have challenged disability and played an active role in their communities.

• A mixture of photography and social media – Salah Marashi interviewed by Ola Alojaili, communication and media officer at the ICRC subdelegation in Aleppo, Syria.
In this interview, we are introduced to the efforts of Salah Marashi to document the architectural heritage of Aleppo, especially in the light of the crisis that has afflicted Syria and caused the destruction of large parts of this ancient city.

• Alternative newsroom: I write about the boats and helicopters in my eyes, by Salma Anwar, an Egyptian journalist and novelist.
Salma tells stories from her career in journalism, during which she has covered many wars, conflicts and other state crises.

• Less than a quarter of a century: on journalism, war and other things, by Rasha Qandil, an Egyptian journalist and BBC presenter.
Qandil recalls the highlights of her journalistic career and work covering the evolution of wars in the wider Middle East. In doing so, she analyses the transformations that occurred on battlefields and the challenges inherent in war reporting.

• Algeria fires: social media leads humanitarian action, by Farid Belounas, an Algerian journalist.
Focusing on the role of social media in covering the forest fires that have affected Algeria in the last two years, Belounas notes that not only did it contribute to promoting solidarity among Algerians, it also allowed fellow Arabs to get involved by writing posts and using hashtags to express their solidarity and willingness to provide humanitarian assistance to those affected.

• Between the weaponization and humanization of information: digital technologies are a double-edged sword.
Digital technologies – how they are used and against whom – are among the "new" realities that pose challenges for humanitarian organizations, especially the ICRC. In recent years, humanitarians have been paying greater attention to technological developments when designing humanitarian responses in various contexts.

• Taking action, not sides: the benefits of humanitarian neutrality in war, by Fiona Terry, head of the ICRC's Research and Expertise Centre.
Terry explains her conversion, following first-hand experience, from sceptic to genuine believer in the purpose and utility of maintaining a neutral stance in war.

• The translator is a traitor: translation in humanitarian response, by Rasha Mahmoud Abdel Fattah, head of the Arabic translation unit, ICRC Regional Communication Centre in Cairo.
In this article, Fattah addresses the claims of betrayal and disloyalty often levelled at translators and examines the process of translating into Arabic in a conflict-stricken region rife with linguistic, communication and cultural challenges.

• Tool on African traditions and the preservation of humanity during war, illustration by Anastasya Eliseeva.
A photo essay presenting the similarities between African traditions of war and international humanitarian law texts.

• Egypt, blessed be the abode – an interview with Buthaina al-Nasseri, by Safa Nasser, a Yemeni writer living in Cairo.
The great Iraqi writer Buthaina al-Nasseri talks to Nasser about her literary achievements and about Iraq and the theme of exile in her work. She also discusses her latest projects in creative writing and film directing.

• The helmet, by Aram Hussein, ICRC communication officer in Karkuk, Iraq.

• On the periphery of diaries, by Ahmed al-Qaisy, a former Iraqi prisoner of war.

• Without retouches: when prison letters give you a third eye, by Nidal Rahmy, a Palestinian journalist.

• From around the world

• Publications

Editorial

Humanizing the Media: Mission Possible

Critics, researchers and the public in general have often expressed their impatience and frustration with the mainstream media's news coverage of victims of wars, disasters, and other humanitarian emergencies. The media, they say, often treats those victims as statistics, rather than as humans. The higher the number of victims, the higher "the value" of the news and the faster it makes headlines. As valid as this criticism is, it focuses on only one side of the story. For there are many journalists, digital content creators and mainstream media outlets that work hard to go beyond the statistics and produce appealing humanized content.

Humanizing content in the media means giving people affected by war, violence, and natural disasters the space to tell their stories, talk about their experiences, and express their suffering, expectations, and dreams. It means giving the victims a voice. These humanized narratives – whether in writing, photos, audiovisual production, or any other means – build a stronger and more interactive relationship with audiences and go beyond the language of statistics to establish a human connection between affected populations and audiences. In other words, the most impactful media is that which produces appealing and inspiring human stories.

This has been recognized by increasing numbers of newsrooms editors and content creators working for TV stations, websites, print media, and social media platforms. They have been placing individuals and communities at the heart of media coverage, depicting their experiences, listening to their stories, and documenting their suffering and their resilience. At the same time, they have continued to uphold the ethical rules that protect the dignity of people and ensure their respect.

To celebrate Al-Insani's 25th anniversary, this issue highlights the challenges facing those seeking to humanize the news and media, exploring the ethics of journalism, and participating in the continuous debate on the reality and roles of the media today, especially in

نُرَبّي الأمل

بالنسبة لكثيرين من سكان قطاع غزة، كلُّ يوم جديد هو محاولة لبث الأمل في النفوس. السيدة حنان، هي أمٌ لمعتقل من القطاع. تمكنت الأم، بمساعدة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، من زيارة ابنها محمد في مقر احتجازه.

نحن نعمل في الأراضي المحتلة منذ العام 1967، نزور المعتقلين في أماكن الاحتجاز، ونحاول من خلال أنشطتنا الحفاظ على الروابط العائلية بين المعتقلين وأحبائهم.

لدى محمد طفلٌ في الثانية من عمره اسمه نهاد، يتلهف شوقًا لرؤية والده. يقبض الطفل بيديه الصغيرتين على صورة والده، ولا يفلتها حتى عندما يخلد إلى النوم.